
دار الثقافة
أجوبة
ليست سهلة
وليم كريج

أجوبة ليست سهلة

تأليف

وليم كريج

ترجمة

القس عزت شاكر



دار الثقافة

No Easy Answers

This book was first published in
Arabic in 1998 with permission from
the author: William Lane Craig

طبعة أولى

أجوبة ليست سهلة

صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٧٥٠ط١/١-١/٩٨

رقم الإيداع بدار الكتاب: ٤٥٠٠ / ٩٨

ISBN 977 - 213 - 421-6

جمع وطبع بمطبعة سيويرس

تصميم الغلاف: امجد تناغو

مقدمة الدار

تدور في أذهان بعض البشر بعض التساؤلات الصعبة نحو الله وارتباطه بكثير من الظواهر الطبيعية والاجتماعية،وخطته لخلاص البشرية، وهل الله كلى القدرة، له السيطرة الكاملة علي مجريات الأمور فى العالم، وهل هو يسمح بالشرور التى تصيب البشرية مثل الحروب والأمراض والكوارث الطبيعية، وهل المسيحية تعطى الأمل والرجاء لكل ما يصيب الإنسان-وهل الإنسان له دور فى خلاص نفسه...كل هذه أسئلة تحتاج لإجابات واضحة، وهذه الإجابات ليست سهلة، فما هى هذه الإجابات؟ هذا ما يطرحه عليكم هذا الكتاب فى أسلوب متدرج مقنع.

ويسر دار الثقافة أن تساعد القارئ العزيز فى الإجابات على تساؤلاته التى يمكن أن تراوده بين الحين والآخر.

دار الثقافة

المحتويات

صفحة

مقدمة الدار	٣
تمهيد	٧
مقدمة	٩
الفصل الأول : **الشك**	٣١
الفصل الثاني : **الصلاة غير المستجابة**	٤٩
الفصل الثالث : **الفشل**	٦٩
الفصل الرابع : **الألم والشر(١)**	٨٧
الفصل الخامس : **الألم والشر(٢)**	١٠٥
الفصل السادس : **جهنم**	١٢٩

تمهيد

بدأت فكرة هذا الكتاب عندما قدمت سلسلة عظات في "Fox valley Free evangelical church in algonquin illinois" وكانت هذه العظات في بعض مواضيع غير مألوفة للجمهور ،ونادراً ما تُناقش من على المنبر لأن الأسئلة الصعبة كثيراً ما تحبطنا .كان من بين الحاضرين "ايلندفال" (Ellaindval) وهو من دار مودى للنشر (Moody Press) وقد شجعني كثيراً لكى أتوسع فى هذه السلسة حتي تصبح كتاباً لتكون مساعدة عملية للعلمانيين.

وتعتبر هذه أول محاولة لي لكتابة كتاب تأملي ، وأتمنى أن يجد القارىء فيه شرحاً وافياً واضحاً ،يساعده فى القضايا اليومية التى تواجهه فى الحياة المسيحية . وأنا أتوقع أن يقدم هذا الكتاب مساعدة عملية للطلبة ولوالديهم ومعلميهم والذين يطالبون دائماً بتقديم إجابة على أسئلتهم .

وكالعادة أشعر بأنني مديون لزوجتي جان (Jan)، لأنها كتبت المخطوطة علي الآلة الكاتبة بالإضافة إلي اقتراحها بخصوص موضوعات هذا الكتاب.

وليم لان كريج

المقدمة

في الاتزان العقلي

منذ عامين ظهر كتابان أحدثا ضجة كبيرة في كل الأوساط التربوية الأمريكية،فالكتاب الأول بعنوان " محو الأمية الثقافية ":ما يحتاج أن يعرفه كل أمريكي " Cultural Literacy "يؤكد حقيقة أن أعداداً كبيرة من طلبة الجامعات الأمريكية ليس لديهم المعرفة البدائية لتصفح الجرائد العامة، ولا المسئولية كمواطنين.ففي العينة التى شملها البحث الميدانى وُجد أن ربع الطلبة يعتقدون أن فرانكلين روزفلت كان رئيساً فى فترة حرب فيتنام . ووجد أن ثلثي العينة لا يعرفون متى حدثت الحرب الأهلية، وثلث العينة يعتقدون أن كولومبس ربما اكتشف العالم الجديد بعد ١٧٥٠م .

وفى بحث ميدانى حديث في جامعة ولاية كاليفورنيا فى فوليرتون (University At Fullerton) وجد أن أكثر من نصف الطلبة لا يعرفون من هو تشوسر(Chaucer) أو دانتى (Dante)، ووجد أن ٩٠٪ لا يعرفون من هوالكسندر هاملتون (Alexander Hamilton) بالرغم من أن صورته موجودة على ورقة العشرة دولار المتداولة .

هذه الإحصائيات يمكن أن تكون مضحكة، فى حالة عدم الاستفادة والانتباه.

ماذا حدث لمدارسنا حتى تخرّج لنا هذا العدد الضخم من الجهلة بشكل مرعب ؟ أما البحث العلمى الثانى الذى قدمه "آلن بلوم"(Aln Bloom) الأستاذ البارز فى جامعة شيكاغو، ومؤلف الكتاب الذى ذكرته من قبل،

بعنوان العقل الأمريكى المغلق، (The Closing Of American Mind) وصفته جريدة واشنطون تايم (Washington Times) بأنه مخيف ومقنع حيث أن وراء ذلك النظام التعليمى الذى يجعل الطلبة مقتنعين بأن الحق نسبى، وأن هذا الحق لا يستحق أن نسعى إليه . لقد كتب بلوم قائلاً :-

هناك شيء واحد يتحقق منه الأستاذ الجامعى ، وهو أن غالبية الطلبة ، يلتحق كل منهم على حدة، وهو يعتقد أو يقول إنه يؤمن أن الحق نسبى . وعندما نناقش معهم هذا الاعتقاد سنكتشف من خلال ردود أفعالهم أنهم غير فاهمين ، لأن أي شخص حتى لو كان غير متخصص فى الموضوع يمكن أن يحيرهم عندما يسألهم أليس ٢+٢=٤. فيكتشف أنهم لم يفكروا فى هذه الأمور. وهذه النتيجة تؤثر عليهم أخلاقياً فتبدو عليهم مظاهر الشك والإحباط فيسألونك بإحباط"هل أنت ممن يؤمنون بالمطلق؟" والشيء الغريب أنهم يسألونك «هل أنت تؤمن بالسحر ؟» فهم يخافون من السحركثيراً، والشخص الذي يؤمن بالسحر يصبح مترقباً للإثارة المؤذية في أي وقت ويشعر بعدم الأمان . وهم حينما يحذرون من الإيمان بالمطلق، ليس بسبب خطأ الاعتقاد بقدر ما أن الإيمان بالمطلق يقود إلي التعصب بحسب وجهة نظرهم. ويعلمون أن النسبية ضرورية للانفتاح،والنتيجة الوحيدة للتعلم الابتدائي الذى يقدم لأكثر من ٥٠ سنة بهذه الطريقة،أن أصبح الانفتاح والنسبية هما الاتجاهان السائدان والصائبان بالنسبة للناس وسط الدعوات المتنوعة التى تقدم للحق، والأساليب المتنوعة للحياة الفضلى.

إن دراسة تاريخ وخلفية العملية التعليمية التى كانت تسود العالم في الماضى جعلت الناس يعتقدون أن الإيمان بالحق يقود إلى الحروب والاضطهادات

والعبودية وكراهية الغريب والعنصرية والنعرة القومية.والنقطة الرئيسية هنا هى أن تصحيح الخطأ لا يتم من خلال الإيمان بالنسبية.

فمنذ الاعتقاد بأنه لا يوجد حق مطلق وأن كل شيء نسبى، لم يعد هدف التعليم هو الحق أو المبادئ الأساسية، بل يُعلم المهارة والحنكة حتى يمكن للإنسان أن يكتسب الصحة والقوة والسمعة. أما الحق فلا مكان له.

وبالطبع فالاتجاه نحو النسبية هو ضد المسيحية، فالمسيحى يؤمن أن الله هو الحق المطلق ،وأنه أعلن لنا الحق فى كلمته وفى ابنه الذى قال أنا هو الحق.لذلك لا ينظر إلى الحق بإهمال أو ازدراء، بل بالحرى يعزز ويقدّر الحق كانعكاس لله نفسه .

وعندما نقول إن المسيحي اؤتُمن على الحق، هذا لا يجعله متعصباً كما فهم طلبة بلوم بل بالعكس، فالمفهوم العميق للتسامح،هو موقف بين المقبول وغير المقبول ، فالمسيحى يلتزم بالحق والتسامح،لأنه لا يؤمن فقط بمن قال" أنا هو الحق" بل من قال« أحبوا أعدائكم ». وبصفتى أستاذ فى جامعة مسيحية أتعجب من مدى تأ ثر تلاميذي بهذا الاتجاه الذى قدمه بلوم ؟ وبدأت أتساءل هل سينجح تلاميذى لو أنهم دخلوا اختبار من الاختبارات التى وضعها هارسش(E.D. Hirsch)؟ وما هى الدرجات التى سيحصلون عليها ؟ وفكرت لماذا لم أعطهم اختباراً قصيراً يحوى أسئلة عامة عن شخصيات وأماكن وأحداث مشهورة وهامة؟. وقدمت الامتحان لفصلين من خمسين طالباً من طلبة السنة الثانية في الجامعة، وكانت النتيجة مذهلة بالنسبة لى رغم أن مستواهم فوق المتوسط، ولكن كانت هناك نسبة كبيرة غير قادرة على التعرف على

بعض الشخصيات المشهورة والأحداث الهامة ولو فى جملة واحدة. فمثلاً ١٨٪ لم يستطيعوا تعريف من هو ميخائيل جورباتشوف،٤٩٪ لم يعرفوا ليوتولوستوى بالرغم من أنه كاتب أعظم رواية عالمية«الحرب والسلام» . وما أذهلنى هو أن ١٦٪ لم يعرفوا من هو ونستون تشرشل، لدرجة أن واحداً من الطلبة عرفه بأنه أحد العظماء الذين أسسوا البلد، وآخر عرّفه بأنه أعظم واعظ نهضات فى المائة سنة الماضية. ٢٢٪ لم يعرفوا أفغانستان ،٢٢٪لم يستطيعوا معرفة نيكارجوا، ٢٠٪ لم يعرفوا أين يقع نهر الأمزون. وكانت النتيجة أسوأ فى الأحداث، فلقد تعجبت من أن ٦٧٪ لم يعرفوا حرب البلقان، لدرجة أن عدداً كبيراً عرفها بأنها مشكلة غذائية،٢٤٪ لم يعرفوا النظرية النسبية ولا يعرفونها إلا أنها نظرية أنشتين وبالتالى لا يعرفون شرحها.

ولم أتعجب فعلاً من أن ٧٣٪ لا يعرفون أى شىء عن القضاء والقدر. وتبين لى أن الطلبة المسيحيين ما زالوا يعانون من الجهل والظلام فى ظل النظام التعليمي الضعيف الذى تعلموه فى مدارسنا الابتدائية والثانوية . وهذا المستوى الثقافى الضعيف يسبب الكثير من المشاكل لكلياتنا اللاهوتية.

بل وانتابنى خوف مزعج من هذه الإحصائيات . فإنه إذا كان الطلبة المسيحيين على هذه الدرجة من الجهل بالحقائق التاريخية والجغرافية، فبالتالي سيكونون علي نفس المستوى من الجهل إن لم يكن أكثر فى الحقائق المسيحية سواء فى عقيدتنا أو تراثنا المسيحى ، فثقافتنا بصفة عامة تنحدر إلى مستوى الأمية اللاهوتية والكتابية . إن عدداً كبيراً، إن لم يكن الغالبية العظمى من الناس، لا يعرفون أسماء الأناجيل الأربعة. وفي بحث ميدانى حديث أجرى على عينة

عشوائية من المجتمع المسيحى ذكر أحدهم أن الأناجيل الأربعة هى متى ومرقس ولوثر ولم يعرف الرابع . إن الشىء الملحوظ والذى أفزعني هو أن كنيستنا الإنجيلية فى بعض الأماكن تنحدر بصورة سريعة ، وإن لم تحتفظ بالحق لتراثنا المسيحي وعقيدتنا ،فمن يعلّمنا بها ؟ أم تضيع المسيحية؟ ما أصعب الأمر أن يكون هكذا . فإن كنيستنا تنتهى وتضل إلى الأبد إن لم تثرى الحق الكتابى الذى تمتلكه . لقد تعجبت كثيراً متسائلاً هل يمكن أن نختبر شعبنا المسيحى فى الحقائق المسيحية العامة وتاريخ الكنيسة والعقيدة؟

تُرى ما هى الدرجات التى سيحصلون عليها ؟ إننى أدعوك عزيزى القاريء أن تحضر ورقة وقلم وتختبر نفسك فى الامتحان التالي: ابدأ فلا يستغرق ذلك إلا بضع دقائق، وهو عبارة عن أساسيات ، أعتقد أن أى مسيحى ناضج يستطيع الإجابة عليها بسهولة . فببساطة اكتب بعض العبارات التى تحدد وتوضح أنك تعرف المقصود بالموضوع أو الشخصية ،فمثلا« جون وسلى » تكتب أنه مؤسس كنيسة الميثودست ، أو رجل النهضات الإنجيلية فى القرن الثامن عشر .

الاختبار:-

١- مارتن لوثر .

٢- الطبيعتان المتحدتان فى شخص واحد .

٣-أغسطينوس.

٤- مجمع نيقية .

٥- مذهب ألوهية الكون

٦- توما الأكويني .

٧- الثالوث .

٨- الإصلاح .

٩- الكفارة .

١٠- حركة التنوير.

ماذا فعلت في الاختبار ؟ أتمنى أن تكون إجاباتك أفضل من.المجموعات التي اختبرتها أنا . ربما تحاول معارضة فكرة هذا الامتحان ، وتقول ما قيمة معرفة كل هذا الحشو من المعلومات ؟ إنها معلومات لا قيمة لها ، والمهم فعلاً هو علاقتي الشخصية مع المسيح ، وأن أشارك الآخرين اختباراتي . وهذه المعلومات لا قيمة لها عندي ، ومن سيهتم بمثل هذه التفاهات ؟

أتمنى أن لا يكون هذا هو رد فعلك ، لأنك بهذا تغلق باب التقدم الشخصي، وستكون الامتحانات بلا فائدة بالنسبة لك ، ولا تتعلم منها شيئاً . لتكن ممن يتفاعلون بأكثر إيجابية وترى نفسك أنك في احتياج شديد لكي تصبح مسيحياً أكثر عقلانية وفهماً ونضجاً ، وتصر على أن تفعل شيئاً في هذا الجانب . وهذا هو قرارك المصيري والخطير . هناك الملايين من المسيحيين في أشد الاحتياج لأخذ هذه الخطوة . لا يوجد شخص قدم هذا التحدي أمام المسيحيين بأكثر قوة، ودعاهم لإعطاء أكبر مساحة للعقل مثل تشارلس مالك(Charles M alik) السفير اللبناني السابق في الولايات المتحدة الأمريكية .

ففى خطابه الذي قدمه عام ١٩٨٠م فى حفل تدشين مركز بلى جرهام فى وايتن ـ الينوى (Wheaton,Illinois). ركز مالك على أننا كمسيحيين يجب أن نواجه مهمتين أساسيتين فى كرازتنا : خلاص النفوس وخلاص العقول ، أو نقول ليس فقط أن نخلص الناس روحياً ، ولكن أيضاً نخلصهم ذهنياً . والكنيسة للأسف أهملت المهمة الثانية بشكل كبير وخطير ، لاحظ كلماته جيداً : سأكون صريحاً معك : إن الخطر الأعظم الذى تواجهه المسيحية الإنجيلية هو عدم الاهتمام بالعقل . فالعقل فى عظمته والذي هو أعظم عطية من الله للإنسان لا نعطيه الاهتمام الكافى. وعلينا أن ندرك أن التربية الفكرية التى تركز على العقل والفكر ، لا يمكن أن تحدث بدون التبحر لسنين طويلة فى دراسة تاريخ الفكر والروح : فإن الناس الذين يتخرجون من الجامعة ثم ينهمكون فى السعى وراء كسب المال أو خدمة الكنيسة ، أو تقديم الإنجيل،ليست لديهم فكرة عن القيمة العظيمة فى قضاء سنين فى التفاعل والتبحر في دراسة سير الشخصيات العظيمة من قادة الفكر والعلم والدين وما هى أفكارهم، فهذا يدفع الإنسان لمزيد من النضوج واتساع الأفق . ونتيجة عدم الاهتمام بالعقل أصبحت الساحة خالية من التفكير الخلاق المبدع وأصبح الجو مهيأ للأعداء . فمن من الإنجيليين يمكن أن يقضى وقتاً فى البحث والدراسة مثل علماء العالم فى شتى المجالات من الملحدين ؟ كم عدد العلماء الإنجيليين الذين يُقتبس من كتاباتهم ومحاضراتهم كمصدر ومرجع رئيسى فى التاريخ أو فى الفلسفة أو فى علم النفس أو فى علم الاجتماع أوفى السياسة ؟ كم عدد الإنجيليين الذين يقودون العالم في العلم أو الفكر أو السياسة أو الأدب؟هل الأسلوب الإنجيلى فى التفكير لم يأخذ فرصته الكافية ليصبح الأسلوب السائد فى الجامعات

الكبرى في أوربا وأمريكا والتى طبعت حضارتنا بالكامل بهذه الروح والفكر.

واستطرد مالك قائلاً :

لنغير اتجاهنا ونأخذ اتجاهاً أفضل حتى نتغلب على هذا الخطر العظيم بسبب السطحية . لابد وأن يركز الاتجاه الجديد على العلم والفكر وفى كل المجالات، وندرك مدى القيمة العظيمة التى تعود علينا عندما ندرس الأخلاقيات عند أرسطوطاليس ، والفلسفة الميتافيزيقية ، ومدينة الله لأغسطينوس ، وجمهورية أفلاطون . وعلينا أن ندرك أنه إذا بدأنا ببرنامج ضعيف سيكون مصيرنا الضياع ونحتاج إلى قرن لنلحق بالجامعات الكبرى مثل هارفارد تويجنس والسوربون، وعندها سنرى أن المسافة بيننا وبين هذه الجامعات عدة قرون .

فمن أجل شهادة أكبر فاعلية ليسوع المسيح ، ومن أجل الإنجيل نحتاج إلى انطلاقة فكرية وعقلية على مستوى عال حتى نستطيع أن نتغلب على العقلانية السائدة .

إن معظم المسيحيين لا يدركون أن هناك حرباً عقلية مستمرة فى الجامعات وفى الجرائد المتخصصة والمجتمعات الدراسية توجه نحو المسيحية . فالمسيحية تهاجم من كل ناحية على أنها بعيدة عن العقل ، وملايين الطلبة وقادة الجيل المقبل سينهمكون فى هذه النقطة،ونحن لسنا على استعداد لخسارة هذه الحرب.

لقد حذر جرشام ماشن (Gresham Machen).فى ندوة عن جدل الأصولية بأنه إذا فقدت المسيحية الصراع العقلى فى هذا الجيل فستجتاز فى مأزق كبير لا يمكن احتماله فى الجيل القادم . وإن العجز الفكرى من أكبر معوقات

توصيل رسالة الإنجيل ، فقد نعطى بحماس المصلح ولكن لا ننجح فى ربح المعركة نتيجة الضعف الفكرى،وإذا تركنا الأمور تسير كما هى ستسود العالم الأفكار الغير مسيحية ، وبذلك ستفقد المسيحية احترامها، وتصبح فى نظر العالم مجرد ضلالة. فكم يشتهى الله أن ننهض فكرياً ونحطم كل الموانع التى تقف عقبة أمام تقدم الإنجيل .

لقد مر تحذير ماشين(Machen) دون أن يعطه أحد اهتمامًا كبيرا ، ولذلك نرى المسيحية تتجه نحو الانغلاق الفكرى والأصولية والتى بدأنا حديثنا عن كيفية الخروج منها .

والحرب لم تنته،والصراع مستمر ، ويجب أن نبذل قصارى جهدنا حتى لا نخسر المعركة لأن المستقبل مرتبط بنهاية هذه المعركة .

ماذا يفعل الإنجيليون لكسب هذه المعركة ؟ إن ما وصلنا إليه حتى وقتنا الحالى ضعيف جداً ، فمعظم العلماء الإنجيليين يشبهون سمكة صغيرة فى بحيرة كبيرة ، امتد تأثيرهم قليلاً ولكن بصفة عامة ضعيف ، البعض منهم ينشر كتباً فى دور نشر إنجيلية لذلك ربما لا تقرأ من العلماء غير المسيحيين . والبعض منهم بدأ يتجه للمشاركة والعمل فى مجتمعات إنجيلية محدودة بدلاً من أن يكونوا فعالين فى مجتمعاتهم الفنية المتخصصة ، وبذلك وضعوا نورهم تحت المكيال ، وأصبحوا عبارة عن خميرة للإنجيل ولكن في مجتمعاتهم المحدودة . نحن نحتاج كما قال(مالك) إلى علماء مسيحيين يتفوقون على المفكرين غير المسيحيين فى مجالاتهم ويؤدون عملهم بمهارة أكبر ، هذا يمكن أن يتحقق.

فهناك تقدم واضح وسط الفلاسفة الأمريكان ، فلقد خرج الفلاسفة المسيحيون

من الانغلاق الإنجيلي ودافعوا عن الحق المسيحي أمام العالم بأسلوب نقاش فلسفي راق ، وكتبوا دراستهم في المجلات والجرائد الغير دينية حتى يصل صوتهم لكل المجتمع وبذلك تغير شكل الفلسفة الأمريكية.

منذ ثلاثين عاماً كان الفلاسفة يعتبرون الكلام عن الله لا قيمة له ، ولكن اليوم قد تغير الوضع فمعظم الفلاسفة يتكلمون عن الله بوقار ، ونجد عدداً من الفلاسفة الكبار يتحدثون عن الله لمن هم خارج المسيحية . ويذكر الفيلسوف الكبير رودرك تشيشولم"Roderick Chisholm" هو غير مسيحي أن سبب إلحاده ، هو نفوذ ولمعان الفلاسفة الملحدين في الجيل الماضي ، ولكنه يضيف قائلاً عن الحال اليوم "هناك نجوم كثيرون اليوم، يؤمنون بالله ولهم ميول شديدة للتركيز على العقل".وظهور هذا الاتجاه يعطي أملاً في حدوث التغير الكبير الذي تطلع إليه مالك وماشن، ولا شك في أن الجيل القادم سيلمس هذا.

إن ما يحزن هو أن الكنيسة الإنجيلية لا تقدم تشجيعاً لهؤلاء المفكرين بالرغم من احتياجها الشديد إليهم ، ومن الغريب أنه بعد أن يحصل الطالب على درجة الدكتوراه "PH.D"تبدأ الجماعة المسيحية تعطيه الاهتمام، ومجرد أن يحصل على درجة الدكتوراه تقدم له الدعوة ليتكلم في مناسبات عديدة ، ويطلب منه الناس أن يوقع لهم بخط يده على كتبه التي يمتلكونها ، ولكنه عندما كان يصارع ليحصل على الدكتوراه كان مجهولاً من معظم الجماعة الإنجيلية ، بل وكان البعض يسخر منه على أنه طالب إلى الأبد.

إن الجماعة الإنجيلية إذا أرادت أن تعطي اعتباراً للفكر والعقل عليها أن تدرك أن هناك الكثير من الشباب والشابات يحتاجون إليهم ، يعيشون عند

حد الكفاف بل ويستدينون من أجل دراستهم الجامعية ، وهم يكافحون تحت ظروف خطرة ومزعجة، ويعانون من الوحدة والإهمال . لذلك أنا أعتبره امتيازاً عظيماً أن نخصص جزءاً من دخلنا لعمل الله لتعضيد الدارسين والذين نعرفهم شخصياً ، وسيصبحون قادة فكر لنا مستقبلاً .

وأنا شخصياً أشجع أكبر عدد من الكنائس لكى تخصص جزءاً من ميزانيتها السنوية لتعضيد الطلبة المرشحين من مجامعهم للدراسة بكلية اللاهوت ، أو الذين يدرسون الماجستير والدكتوراه .

ويمكن أن يتم اختبار من ستُقدم لهم المساعدة بناء على مقابلة شخصية ، مثل من يتم اختيارهم للعمل المرسلى بناء على حياتهم الروحية ، وقدراتهم الأكاديمية وتطلعاتهم للمستقبل . إن الكنيسة لا يمكن أن تعيش بضمير صالح إذا تجاهلت مثل هؤلاء الأشخاص .

وما يحزن أيضاً كما قال مالك هو أن أعداء العقل والفكر انتشروا حتى فى مؤسساتنا الإنجيلية الخاصة بالتعليم العالي . ولم يعد هناك اهتمام بالمنح الدراسية الجادة ، إلى جانب أن هناك موانع كثيرة لتحقيقها ، فالأساتذة مشغولون فوق طاقتهم بمحاضرات كثيرة يقدمونها ، إلى جانب أن هناك وقتاً كبيراً يستهلك فى لجان وأعمال إدارية روتينية .

يبدو أن الدراسة الجادة لم تعد فى قائمة الأولويات . فضلاً عن ذلك فإنه من خبرتى كأستاذ لاهوت رأيت أن كليات اللاهوت تعطى الاهتمام الأكبر لتخريج رعاة ، ولا تعطى إلا القليل من الاهتمام لتخريج باحثين ، بالرغم من أن اللاهوت لا يمكن أن يقود العالم إلا إذا أعطينا اهتماماً كبيراً لتخريج

الباحثين ، وأعطينا العقل الاهتمام الأول داخل كلياتنا اللاهوتية .

إن آرائى الشخصية أكدها لى بحث حديث قوى بعنوان « تقييم البعثات فى المؤسسات الإنجيلية »،وقام بالدراسة البروفيسور ناثان هاتش Nathan Hatch بناء على تكليف من جامعة النوتردام(Notre Dam) واكتشف هاتش إنه بينما تتحدث كليات اللاهوت الإنجيلية كثيراً عن البحث والدراسة،لكن الواقع غير ذلك .

وما يقولونه باستمرار بخصوص المنح الدراسية لاينفّذ ، ولا يُعطى له إلا فتات الوقت للدراسات العليا ، ويكتب الطلبة فى مواضيع كتب فيها من قبل، إلى جانب أ ن الأبحاث سطحية جداً .

يقول عميد إحدى الكليات،إن حوالي ٩٠٪ من طلبة الكلية يرتبطون بفعالية بها ليستزيدوا من الدراسة والبحث ، بينما أكد أحد أعضاء نفس الكلية أنه لا يزيد عن ١٠-١٥٪ من الخريجين هم الذين يسجلون أسماءهم للدراسات العليا ، بينما الآخرون مجرد مستمعين ولا يفهمون ما يحدث .

لقد أجرى هاتش استبياناً على ٥٨ كلية مسيحية ووصل إلى هذه النتيجة "إنه من أجل نجاح العلاقات والاتصالات بالجماهير فشلت الكنيسة الإنجيلية فى التركيز على البحث والدراسة المتعمقة ، وتنازلت عن البحث المنطقى الكتابى من أجل الحديث مع أصحاب الأفكار الغير دينية" .

هذه النتيجة سيئة جداً ولكن استنتج حقيقتين مزعجتين من خلال أبحاثه وهما :-

أولا :إن كليات اللاهوت ومديري الكليات بصفة عامة لا يعطون أهمية

للمنح الدراسية الجادة وأحياناً يمنعونها . وكتب هاتش : إن البحث الميدانى يبين أن قادة كليات اللاهوت بصفة عامة لا يعتبرون المنح الدراسية من الأولويات، والمنح الدراسية الجادة تبدو كأنها لا لزوم لها ، بل على العكس يجب أن يكون هدف هذه المؤسسات أن تهتم أولاً بتعليم وتدريب الرعاة .

ثانيا : يُنظر إلى المنح الدراسية الجادة والدراسات العليا على أنها لا قيمة لها بالنسبة لحياة الإنسان الروحية وحياة الكنيسة . ويقول هاتش إن مدبرى الكليات اللاهوتية يعتبرون أن الدرجات العلمية مهمة من أجل تحسين المستوى العلمى ، أو لتحسين سمعة الكلية ، ولكن بصفة عامة فإن الدرجات العلمية لا قيمة لها بالنسبة لإرسالية الكنيسة ، ولا قيمة لها بالنسبة لنمو الإنسان روحياً .

لقد انتهى هاتش بالرغم من التركيز على وحدة الايمان والتعليم الذى هو العامل المشترك للكليات الإنجيلية وإجابات الاستبيان تبرهن على أن العالم الإنجيلى الأكاديمى ككل لا يربط المنحة الدراسية بالحياة الروحية المسيحية، ونهضة الكنيسة على المدى الطويل .

فياله من موقف تراجيدى قصير النظر.

لقد لاحظ ماشن فى أيامه أن هناك الكثير من الكليات اللاهوتية تحارب الأخطاء بالهجوم عليها كما يفعل الوعاظ الشعبيين . أو هناك من يربكون المستمع باسماء اللاهوتيين الألمان الغير معروفين خارج أسوار الجامعة . وشدد ماشن على الخدام المسيحيين أن يرتقوا بالفكر قبل أن ينتشر ويصل إلي القاعدة الشعبية .

قال إن البحث يعتمد على الإيمان العميق، وقوة الفكر الأكاديمى اليوم يبدأ فى الغد سلاحاً يسقط الامبراطوريات العاتية ضد المسيحية .

ونحن كمسيحيين يجب أن ندرك أن مسئوليتنا أن نشكل فكر العالم بفكر المسيح ، وهذا يدفعنا لطرح العبث الفكرى جانباً . ولقد أكد كل من مالك وماشن على أن أكبر معطل للمسيحية اليوم يكمن فى الابتعاد عن قوة الفكر والمنطق وأكدا علي أن الكنيسة تضعف بسببُ ضعف التفكير وليس بسبب الإفراط فى التفكير .

وما يدعو للضحك أن البعض يقول إن كليات اللاهوت يجب أن تخرج رعاة وليس باحثين . وهل يمكن للراعى أن يكون فعالاً فى الموقع الذى يخدم فيه إلا إذا أعد فكرياً ؟ لذلك كان ماشن يقول إننا نحتاج إعداداً علمياً للخادم .

إن النموذج الذي يجب أن يحتذى به رجل هو مثل جون وسلى، فهو خادم ممتلىء من الروح القدس ورجل نهضات وفى نفس الوقت محاضر فى جامعة أكسفورد .

قدم جون وسلى محاضرة لطلبة اللاهوت فى عام ١٧٥٦م ، يجب أن يقرأها رعاة المستقبل ويستوعبوها جيداً . لقد كان وسلى يتحدث عن القدرات والإمكانيات التى يجب أن يتحلى بها الخادم ، فلقد ميز وسلى بين المواهب الطبيعية والمواهب المكتسبة،ونبَّر وسلي فى محاضراته على المواهب المكتسبة التى يجب أن يتحلى بها كل خادم ويدرب نفسه على التمكن منها ،وهذه المواهب والقدرات هى :

١- علي كل خادم أن يسأل نفسه هل لى المعرفة الكتابية الكافية لأصبح

مسئولاً عن تفسيرها للآخرين لتصبح نوراً لسبيلهم ؟ هل أنا ملم بكل الأجزاء المختلفة للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ؟ هل أستطيع فهم النص من خلال قرينته ، وأستخرج الأجزاء الموازية له؟ هل أعرف التركيب اللغوى لكل سفر من أسفار الكتاب المقدس على حدة ؟ هل أنا ملم بالمعانى الروحية وبالمعانى الطبيعية لكل ما أقرأه ؟هل أعرف ما يوجه للكتاب المقدس من اعتراضات ؟ وهل أعرف ما يؤمن به أصحاب الديانات الأخرى؟ وهل أستطيع أن أرد على البدع والهرطقات ، وجاهز لتقديم إجابات مقنعة على كل الاعتراضات ؟

٢- هل أنا أعرف كل من اللغة العبرية واليونانية ؟ وإلا فكيف أقوم بدور متكامل، فهو ليس فقط شرح وتفسير للكلمة بل أيضاً دفاع عنها أمام المقاومين؟ هل أستطيع أن أفهم النص الأصلى بنفسى أم لا بد من العودة إلى المفسرين؟ هل لى نظرة نقدية للكتاب المقدس ؟ كم عدد السنين التى قضيتها فى المدارس؟ وكم عدد السنين التى قضيتها في دراسة اللاهوت ؟ وماذا فعلت فى كل هذه السنين ؟

٣- هل أنا فاهم طبيعة عملى؟ وهل أستطيع أن أقيم شخصيتى وأعرف نقاط الضعف فى نفسى وأسعى لأكون سفيراً حقيقياً للمسيح ومرسلاً من رب السموات؟

٤- هل أنا فاهم تاريخ وجغرافية العالم وأستطيع استخدامهما عند شرح التاريخ المقدس ؟ هل أنا ملم بالعادات القديمة لليهود والشعوب الأخرى المذكورة فى الكتاب المقدس ؟ هل أنا أعرف جغرافية الأماكن ذات الأهمية الخاصة

المذكورة فى الكتاب المقدس ؟

٥-هل أنا ملم بقدر معقول بالمبادىء والنظريات الأساسية للعلم ؟ هل أنا ممن يهتمون بتنمية قدراتهم العقلية والفكرية ؟. إذا كنت قد تعثرت فى هذا الطريق،وجهلى وكسلى سيقودانى إلى الاعتقاد بأن «العقل لا يصلح لشئ» هل أنا فاهم فى الميتافزيقا وملم بالمبادىء الأولية لها ؟ هل أنا ملم بالأفكار الأساسية لكبار العلماء ولى دراية بالنظريات العلمية الحديثة ؟ هل لى معرفة بالمبادىء الأساسية للفلسفة ؟ هل لدى معرفة بالرياضيات ؟ إذا كنت ما زلت مبتدئاً فلا بد من بذل أقصى مجهود للفهم والتعمق .

٦- هل درست تاريخ الآباء ؟ على الأقل أولئك الذين عاشوا فى القرون الأولى من تاريخ الكنيسة ؟

هل قرأت الكتابات النفسية التى تركوها ؟ هل قرأت تراثهم الذهبى لأكليمندس الرومانى وأغناطيوس الأنطاكى وبوليكاربوس . هل أعطيت جزءاً من اهتماماتك لقراءة أعمال مارتر الشهيد وترتليانوس وأوريجانوس وأكليمندس الأسكندرى وكبريانوس ؟

٧- هل لدى معرفة بالعالم من حولى ؟ هل أستطيع أن أفهم الناس كما أفهم الكتب ، وأعرف أمزجتهم ومبادئهم وأساليب حياتهم ؟ هل أهتم بأن لا أكون متسلطاً وجافاً وخشناً بل لطيفاً ومجاملاً مع كل الناس ؟ هل أنا مهتم بدراسة علم النفس والمشورة؟ هل إذا كنت ضعيفاً فى أحد هذه الاتجاهات فأنا نادم على ذلك وأسعى لتسديد الاحتياج أم لا ؟ كيف أستطيع أن أصبح أكثر فاعلية مما أنا عليه الآن؟ (١)

ما أروع رؤية جون وسلى للراعى فيجب أن يكون نزيها ومتعمقاً فى كلمة الله وفاهماً للتاريخ وفيلسوفاً،وعلى مستوى علمى وفكرى عال ، ولكن هل يمكن للرعاة أن يتخرجوا من كلية اللاهوت على هذا المستوى الأقل ؟ إن هذا يؤكد احتياجهم للدراسة المستمرة .

ليس فقط الرعاة وأساتذة اللاهوت الذين يحتاجون للاهتمام بالتنمية الفكرية والعقلية ، بل والعلمانيون يحتاجون أكثر لمزيد من الاهتمام بالعقل والفكر . إن كنائسنا امتلأت بمن يعيشون في لامبالاة وبلادة عقلية وجمود فكرى ، ولذلك هم يسيرون نحو الخراب والضياع .

ونتيجة لذلك يعيشون فى عدم نضج ، وإيمان سطحى ، وللأسف يخدعون أنفسهم ويقولون إنهم يفضلون الإيمان البسيط .

أذكر عندما كنت طالباً فى كلية وايتن (Wheaton)أن قال لى أحد زملائى الطلبة أنه يتمنى العودة إلى الإيمان البسيط ، الإيمان الذى يعيشه أهل بيته الذين لم يدرسوا ، وهنا رجعت بذاكرتى إلى الماضى ،لأنى عندما كنت أريد أن أعيش الإيمان العميق الناضج اتجهت إلى كلية وايتن لأتعمق فى المعرفة والفهم، وبعد خمس سنين من الدراسة كان اتجاهى مختلفاً تماماً عن اتجاه صديقى . إن الإيمان البسيط يعنى عند بعض الناس الجهل وعدم الإدراك، وأنا لا يمكن أن أقبل العودة إلى الماضى ، لأن عبادتى وإيمانى أصبحا أعمق وأنضج بسبب دراساتى الفلسفية واللاهوتية . لقد بحثت بعمق فى كل مجال ، ودرست عن الخليقة ، والخطية الأصلية ، وحتمية الصليب ، والقيامة ، والعلم الإلهى غير

---

[1] John Wesley,Works 6:217-310

المحدود ، والعدل الإلهى ، والحياة بعد الموت . . . إلخ.

ومع كل تقدم فى الفهم والمعرفة كنت أقترب من شخص الله . إن الإيمان المسيحى ليس إيماناً أجوف ، أو إيماناً بعقل ميت ولكنه إيمان حى ومدرك وعاقل، كما قال القديس أنسيلم(Anselm) إنه إيمان يتطلب الفهم "أؤمن لأتعقل".

إن الاتزان العقلي يدفع الفرد والجماعة للأمام ، وإن لم يعط الشعب المسيحى أهمية كبرى للنضج العقلى، سنصبح فى خطر حقيقي ونفقد أولادنا وبناتنا فى الأيام القادمة . ففي المدارس والمعاهد العليا والجامعات يهاجمون بقوة من الفلاسفة الملحدين وغيرهم .

وعندما ألتقى بآباء وأمهات أسمعهم يشكون من أن أبناءهم كادوا يفقدون الإيمان المسيحى لأنهم لم يجدوا شخصاً فى الكنيسة يجيب على أسئلتهم ويقنعهم .

منذ فترة قريبة كان لى شرف التعرف على د . بلا نشراد ديمارشانت Dr. Blanchard Demerchantوهو أحد اساتذة الفلسفة الكبار ، وروى كيف أنه نشأ فى بيت مسيحي ، ولكن عندما وصل إلى سن المراهقة بدأت تدور فى ذهنه أسئلة مزعجة ، وبدأ يتشكك فى الإيمان المسيحى الذى تربى عليه ،وذهب إلى مدرسة للكتاب المقدس (Bible college) بحثا عن إجابة على أسئلته ، ولكن ما أفزعه أنه لم يجد ولا أستاذاً يجاوبه ، فذهب إلى المدير وأخذ ميعاداً منه آملاً أن يجد عنده الإجابات الكافية على أسئلته . وعندما التقى به قدم ديمارشانت (Demerchant) كل أسئلته . ولكن للأسف بدلاً من أن يقدم له المدير الإجابة على هذه الأسئلة ، إذا به يأمره بأن يركع على ركبتيه أمام الله ويعترف

بخطاياه ويتوب عنها لأنه يفكر فى مثل هذه الأمور،ووصل لدرجة التشكك فى الإيمان .

من العبث أن نقول إن ما حدث أقنع ديمارشانت ، أو جعله يتراجع عن شكوكه ، والمسيحية ليست ضد العقل . فبدأ ديمارشانت يدرس الفلسفة فى كلية غير مسيحية وأصبح ملحداً ، وأقنع الفتاة المسيحية التى تزوجها لتصبح مثله وتترك إيمانها المسيحى ، ثم ذهب إلى فيتنام وأدمن المخدرات هناك ، وأخيراً عندما عاد إلي وطنه وجد أن بيته ومستقبله كاد أن يتحطما ،ووصلت حالته إلي الانتحار . وفى وسط هذه الظروف بدأ يدرس ويتأمل في حياة شخص اسمه يسوع، وببطء بدأ يعود للإيمان المسيحى عندما وجد بنفسه أجوبة على كل أسئلته ، فندم على كل خطاياه ، وبالاختصار أصبح الآن شخصاً مختلفاً تماماً ، وعاد إلى زوجته "فيلس" (YPhyllis) وأصبحت له خدمة متميزة مع طلبة قسم الفلسفة في الجامعة التى يدرس فيها ، وبذكاء شديد قدّم جوهر الإيمان المسيحى من خلال محاضراته فى الفلسفة . وقال لى بابتسامة إن تلاميذه مندهشين من أنه فيلسوف ومسيحى فى نفس الوقت وكيف يجمع بين الاثنين . إن قصة ديمارشانت انتهت نهاية سعيدة، ولكن هناك عدداً كبيراً من الشباب من بيوت مسيحية يمرون بما مر فيه ديمارشانت ولكن نهايتهم مفجعة .

لا مجال للسؤال لماذا ؟ فالكنيسة أعطت الفرصة لذلك ، وتستطيع الكنيسة أن تبدأ ببناء الشباب من جديد وتعالج هذه المشكلة . لماذا لا تقون هناك فصول مثل مدارس الأحد لكل الأعمار ، وتقدم مواضيع تعليمية كبيرة لكل العلمانيين وفى كل المواضيع ، يدرسون العقيدة وتاريخ الكنيسة والدفاعيات عن الإيمان وتاريخ الفكر المسيحى . . . إلخ؟ لماذا لا نفكر فى إمكانية

التفسير؟ لماذا لا نغيّر ؟

إذا كنت كسلاناً فى تفكيرك، حتى الآن فلن تنضج أبداً ، فانفض غبار الكسل وتقدم نحو النضج العقلى .اقرأ كثيراً واكتب ملاحظاتك على ما تقرأ. لقد فكرت أن أقدم لك قائمة بأسماء الكتب التى أرشحها لك فى مختلف المجالات لكى تقرأها فى العقيدة والدراسات الكتابية وتاريخ الكنيسة والدفاعيات ، ولكن وجدت أنه ستظهر صعوبات كثيرة فى ذلك، منها أنه لا توجد قائمة تصلح لكل المستويات المختلفة ، وكيف يحصل كل إنسان على هذه القائمة ، لذلك أقترح عليك أن تذهب إلى راعيك وتخبره بأنك سئمت حياة الفراغ العقلى ، وتريد كمسيحى أن تتخذ خطوات نحو النضج العقلى ، واطلب منه أن يختار لك بعض الكتب المناسبة لمستواك . ولكن اعطه وقتاً ليختار لك الكتب التى تناسبك .

إجابات الاختبار

أقدم لك هنا إجابة للاختبار الذى قدمته لك من قبل :

١- راهب كاثوليكى (١٤٨٣-١٥٤٦) قام بالإصلاح البروتستانتى ومؤسس اللوثرية .

٢- العقيدة التى أعلنها مجمع خلقدونية عام ٤٥١م مؤكداً على أن المسيح كان إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً .

٣- أحد آباء الكنيسة (٣٥٤-٤٣٠م) ومؤلف كتب مدينة الله ركز على نعمة الله رغم عدم استحقاقنا .

٤- مجمع كنسى تم فى ٣٢٥م وصرح فيه رسمياً بعقيدة التساوى بين الآب والابن ليرد على بدعة آريوس .

٥- النظرية التى تساوى بين الله والعالم ، وتنفى وجود الله كشخص منفصل عن العالم .

٦- لاهوتى كاثوليكى من العصور الوسطى (١٢٢٥- ١٢٧٤) ومؤلف (Summa Thealogia) وتعتبر أفكاره هي أساس اللاهوت الكاثوليكى.

٧-العقيدة التى تنادى بأن الله ثلاثة أقانيم فى شخص واحد .

٨- حركة نشأت فى القرن السادس عشر بمجهود رجال عظماء مثل لوثر وكلفن وزونجلي لإصلاح عقيدة وممارسات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . ركزت على مفهوم التبرير بالإيمان ، وكهنوت جميع المؤمنين ، والسلطان المطلق للكتاب المقدس .

٩- العقيدة التى تنادى بموت المسيح النيابى ، وأنه أخذ مكاننا وصالحنا مع الله .

١٠- الثورة العقلية في أوربا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ضد سلطان الكنيسة بادعاء أنه لا سلطان على الإنسان سوى العقل نفسه ، ويسمى أيضاً عصر العقل .

الفصل الأول

الشك

إن أى مسيحى مفكر يعكس فكره على إيمانه ، حتماً ستواجهه مشكلة الشك ، وحسب اعتقادى فإن هذه المشكلة قد حسمت ، وغالبية القادة المؤمنين يربطون الخدمة بأهمية العقل والبحث عن الحق ، ولذلك يثقون أن بحثهم يصل إلى الحق المسيحى .

فمثلاً خلال حقبة الستينات التحق عدد من الطلبة الأذكياء بجامعة وايتون واتسمت هذه السنين بانتشار الشك والسخرية من الإيمان . ولقد حضرت إلى جامعة وايتن فى نهاية الستينات ، ما رأيته وأفزعنى هو أن بعض زملاء الدراسة وهم من ذوى قدرات عقلية عالية والتى كانت موضوع إعجابى يفقدون إيمانهم ويعلنون على الملأ رفضهم ليسوع .

وأدركت بقوة مدى خطورة مشكلة الشك ، ولا تزال الكنيسة مكتوفة الأيدى تجاه هذه المشكلة . فكم من المرات التى استحققت فيها إلى عظة تواجه الشك فى الحياة المسيحية ؟

وأنا لم أشاهد سوى كتاب واحد فى هذا الموضوع ، ربما لأن المسيحيين لا يصرحون بوجود الشك فى حياتهم ، فإننا نبتسم ونتظاهر بعدم وجود هذه المشكلة ، ولكنها موجودة بالفعل ولا يستثنى أحد من الوقوع فيها .

من عدة سنوات مضت عندما كنت فى فترة الأجازة من جامعة اريزونا فى توكسين Tucson ،وقف راعى أكبر الكنائس المعمدانية التى أحضرها أنا وزوجتى وأعلن فى الاجتماع العام أن لديه اختباراً روحياً عظيماً ويريد أن يشاركنا به، وأعلن أنه فى العام الماضى كان يشك فى وجود الله .

لقد دهشت عندما سمعت هذا الاعتراف ، فمن الذى كان يظن أن هذا الراعى الناجح لهذه الكنيسة الكبيرة كان يشك فى وجود الله؟ لقد احترمته كثيراً لأمانته ولأن هذه الشهادة قد علّمت الناس أنه لا يجب أن يخجلوا من شكوكهم إذا كانت لديهم شكوك، بل على العكس عليهم أن يعترفوا بها، وهذا سيجعلهم يبحثون بجد عن حل لهذا، أو طلب مساعدة راعيهم الذى اجتاز فى نفس هذه المشكلة من قبل .

إن المسيحى الذى يتقوقع على ذاته ربما تواجهه شكوك كثيرة، واذا لم يتعامل مع هذه الشكوك ويجد إجابات لها فيمكن لها أن تحطم حياته الروحية بقوة. ربما تواجهك بعض الاعتراضات أو الصعوبات العقلية الخاصة من جهة الإيمان المسيحى ولا تجد إجابة عليها، وهذه الأسئلة التى لم تجد إجابة لها ربما تقودك إلى التشكك فى حقيقة المسيحية. وتبدأ هذه الشكوك فى الانقضاض على حياتك الروحية، وتعتقد أنك تعيش فى أوهام، وتقول ربما أنا أخدع نفسى، ومن ثم تبدأ حياتك المكرسة فى الضعف والجفاف، لأنه كيف تكرس وتخصص نفسك لشخص ربما ليس له وجود؟ ولماذا تستمر فى خداع ذاتك ؟

هذه المشاعر تخفى رغبتك فى الحديث عن المسيح للآخرين، وكما قال لى مرة أحد طلبة كلية اللاهوت والذى كان كثيراً يصارع مع هذه الشكوك: «أقدم المسيح لشخص ما وأنا نفسى لست متأكداً من حقيقة الأمر؟ ».

وهكذا ستجد نفسك تنحدر لأسفل دون بادرة أمل فى التوقف، ولكن ظاهرياً تحاول الاستمرار فى وضع قناع جميل على وجهك يمكنك من دخول الكنيسة دون تخوف من أحد، فإنك لا تستطيع الاعتراف بشكوكك للآخرين

فماذا سيقولون عنك؟

وهكذا تشتعل فى حياتك حرباً داخلية تحطم حياتك الروحية وتجعلك شخصاً خاوياً، وما يزيد الأمر سوءاً أنك تشعر بالنفاق والازدواجية فى حياتك، وهذا بدوره يضيف عليك عبء الإحساس بالذنب، إلى جانب عبء الشكوك التى تعيش فيها. إذاً ما هو الحل؟ هل هناك علاج لمشكلة الشك؟

إن أول ما نبدأ به البحث عن الحل هو أن نعترف بأنه لا توجد إجابات سهلة وسريعة لمشكلة الشك ، وأنه لا توجد وصفة بسيطة وسريعة عندما نتبعها تتلاشى الشكوك كالسحر، ولكنك سوف تعمل جاهداً لتتخلص من هذه الشكوك بعملية بطيئة وشاقة .

فإنك ربما تتحمل ما أطلق عليه القديسيون قديماً النفس المظلمة "The midnight of the soul" أو"وادى الظلام" (The dark valley) قبل أن تأتى إلى النور ثانية، كن واثقاً من أن كثيرين جداً من نساء ورجال الله العظماء قد ساروا فى هذا الممر،فإنه يوجد أمل ورجاء بنهاية سعيدة لهذا الصراع.

ولكن ماذا تفعل لكى تعبر هذا الصراع بسرعة ونجاح ؟ أو ماذا تفعل لتتجنب هذا الصراع ؟ دعنى أقدم لك أربعة اقتراحات عملية:

أولا: لتدرك أن الشك ليس بمشكلة عقلية خالصة:

فهناك بعد روحى لمشكلة الشك يجب أن تدركها. لا تغض نظرك عن الحقيقة، وهى أنك تعيش فى حرب روحية حيث عدو روحك الذى يكرهك بشدة وكل هدفه تحطيمك، ولا يقف أمامه شىء يعطله عن تحطيمك. ولقد ذكرنا بولس بذلك " فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين

مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات (أف٦:١٢). فالشك ليس مجرد حالة من الجدل الأكاديمى،أو الحوار العقلى الغير مجدى، بل حرباً روحية، إنه الشيطان يستخدم الشك ليضعف إيمانك، ويدمر حياتك ولسوء الحظ فإن الطلبة الذين كانوا يدرسون بالتعليم العالى يتجاهلون البعد الروحى الملازم لمشكلة الشك. فعندما كنت فى جامعة وايتن كان الاتجاه السائد فى وسط البلد هو أن الشك فضيلة، والشخص الذي لا يشك فى إيمانه هو ساذج وغير ناضج عقلياً. ولكن هذا الاتجاه غير كتابى بالمرة ويبين أن هناك تشويشاً فى الذهن، فأن ننظر للشك على أنه فضيلة هذا غير كتابى، بل على العكس، فالشك دائماً يصوِّره الكتاب المقدس بأنه مفسد للحياة الروحية. والشك لا يبنى إطلاقاً بل يهدم . ولكن كيف استطاع هؤلاء الطلبة الذين أعرفهم من الجامعة أن يقبلوا الحقائق ويفهموا العكس؟ ربما لأن تفكيرهم عن الإيمان مشوش، إلى جانب الشك فى هذا الإيمان. فعندما تفكر فى حقيقة إيمانك فهذا حقاً فضيلة لأن هذا سيعطيك فهماً أفضل وقدرة علي الدفاع عن إيمانك، ولا يمكن أن نساوي بين التفكير فى الإيمان والشك فيه.نحتاج أن نعرف الفرق بين التفكير فى الإيمان والشك .

جاءنى طالب ذات يوم بعد أن ألقيت محاضرتى وسألنى:

" كيف أن كل ما نقوله يؤكد ما يعمله باستمرار راعى كنيستى؟"اندهشت قليلاً ثم ضحكت وقلت" ولماذا لا يكون كذلك؟ "فأجاب: " حسناً ولكن كل الذين معي فى القسم يتحدون إيمانى " فكانت إجابتي: أنا لا أريد أن أتحدى إيمانك، بل أتحدى فكرك وأبنى إيمانك.

إن اختباراتي عندما كنت حديثاً في الإيمان، وكنت اشاهد أصدقاء دراستي وهم يفقدون إيمانهم، تركت في نفسي أثراً عميقاً، ولذلك عندما أصبحت مدرساً عزمت على أن أفعل كل ما أستطيع لكي أساعد تلاميذي لكي ما يظلوا ثابتين على إيمانهم بينما يبحثون في قضايا فكرية حول الإيمان. ولقد عزمت بصفة خاصة على تقديم أي اعتراضات على المسيحية بدون تقديم حلول مختلفة ومنوعة للدفاع عن العقيدة والرد على هذه الاعتراضات.

إن أحد زملائي الأساتذة والذي لا يتبع هذا الأسلوب تسبب في بعض البلبلة والقلق بين بعض الطلبة المسيحيين وقال إنه في الفصل " يحاول أن يدفعهم إلى التفكير فقط " ولقد شرح لي قائلاً :«إنني كنت أحاول أن أقوم بدور وكيل الشيطان ».

لقد صدمتني هذه الكلمات كمن أُلقي عليه كمية كبيرة من المياه الباردة. فبالنسبة له هذا مجرد أسلوب تقديم، وكانت هذه الكلمات بمعناها الحرفي صدمة لي. فعندما تفكر ثانية في العبارة التي قالها "أعمل كوكيل للشيطان" (Playing the Devil's advocate)، فإن تكون وكيلاً للشيطان داخل الفصل فهذا ما لا يجب أن نسمح لأنفسنا بأن نكون عليه مطلقاً.

كأساتذة مسيحيين، وطلبة، وعلمانيين يجب أن لا ننسى أننا جميعاً في معركة روحية كبيرة ، ولذلك يجب أن نكون حذرين وحريصين لكل ما نقول أو نكتب لئلا نصبح أدوات في يد الشيطان يستخدمها ليحطم بها إيمان شخص ما. يمكن لنا أن ندفع الناس ليفكروا بعمق وقوة في إيمانهم. ولكن بدون أن ندفعهم للشك فيه.

بالطبع عندما تفكر فى إيمانك ستواجهك صعوبات ومشاكل ربما تقودك إلى الشك. ولكن النقطة الأولى التى أحاول أن أؤكد عليها هنا هى أنه عندما يحدث معك هذا لا تنخدع وتظن أنه مجرد صراع عقلى فقط لأنه يوجد عمق روحى كبير لهذه المشكلة، ومن الأفضل أن تكن يقظاً لذلك، وأن تكون لك قدرة علي ضبط النفس، فلقد حذرنا الرسول بطرس قائلاً: " فإن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو " (١بط ٥:٨). فلا تكن بهذه البساطة فى التفكير بحيث تظن أن الشيطان ليس له أى دخل فى هذه الصراعات العقلية، فيجب أن نكون ساهرين ويقظين دائماً، فكما يقول الرسول بولس:" لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره "(٢كو٢:١١).ويحذ. نا بولس بصفة خاصة حتى لا نكون فريسة سهلة لأى شخص قائلاً: " انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح " (كو٢:٨).

فحينما تحاصرك الشكوك فلا تحاول إخفاءها، أو تتنكر لها وتدعى أنها غير موجودة. بل خذها معك إلى الله فى صلاتك واطلب منه أن يساعدك فى التغلب عليها وإيجاد حل لها. قل له بصراحة وصدق أنك تشك فى وجوده أو فى المسيح أو أي نوع من الشك يراود فكرك، ولاشك فى أنه سيهتم بك ويساعدك فى التغلب علي هذه الشكوك. وإنني أحب صلاة ذلك الرجل الذى جاء إلى يسوع وصرخ "أؤمن يا سيد فأعن عدم إيمانى" (مر٩:٢٤). وما يشجعنا ويفرحنا هو أن يسوع قبل هذه الصلاة وهذا الإيمان وتجاوب بصورة قوية وإيجابية مع هذا الرجل. فعندما تطاردنا الشكوك العقلية ليكن هذا هو الوقت المناسب لكي نعمّق حياتنا الروحية وعلاقتنا بالله ولنبحث عن الملء بالروح

القدس.

ثانيا: عندما تراودك الشكوك وازن بين العقل والإيمان:

فالسؤال هنا هو كيف أتاكد من أن إيمانى صحيح؟ هل أعرف ذلك من خلال أسس عقلية؟ أم أعرف ذلك من خلال الإيمان نفسه؟ أو هل إيمانى مؤسس على شيء موثوق فيه أم اختبارات غامضة؟، كيف أعرف أن إيمانى المسيحى صحيح؟

كدارس للعهد الجديد أقول: إن الإجابة هى أننا نعرف أن إيماننا المسيحى صحيح من خلال الشهادة الداخلية للروح القدس فينا. ماذا أقصد بذلك؟ أنا أقصد أننا لا نقدر أن نبرهن على صحة إيماننا مستندين على أى دلائل أو براهين فقط، ولكن هذا يكون من خلال صوت روح الله فى قلوبنا فنستطيع أن ندرك بسرعة صحة إيماننا . إن روح الله يؤكد لنا هذه الأدلة ويؤكد لنا صحة إيماننا.

عندما نلقى نظرة سريعة لما يقوله الرسول بولس فى هذا الموضوع . يقول الرسول بولس إن كل مؤمن يسكن فيه الروح القدس وهذه هى شهادة الروح القدس التى تعطينا التأكيد أننا أصبحنا أولاد الله " إذا لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا االآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا ألاد الله " (رو٨: ١٥، ١٦).فى كل مكان يتحدث بولس عن هذا اليقين " غنى يقين الفهم" (كو ٢:٢). ويذكرأيضاً "إن إنجيلنا لم يصر بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد" (١تس١: ٥).

فى بعض الأحيان نطلق على هذا الاختبار (يقين الخلاص). والآن أصبح واضحاً أن الخلاص مرتبط بوجود الله، وكفارة المسيح لخطايانا، وقيامته من

بين الأموات وصعوده إلى السموات ، لذلك إذا كنت واثقاً من خلاصك فحينئذ يجب أن تثق فى صحة كل هذه الحقائق بالمثل. وهنا نرى أن شهادة الروح القدس تعطى المؤمن ضماناً وتأكيداً سريعاً بأن إيمانه صحيح.

ولقد علّم الرسول يوحنا نفس الشيء، وأوضحه من خلال مقابلته بالموقف المناقض وبين أن هذا اليقين مبنى على الأدلة والبراهين. لقد بدأ بتذكير القراء المسيحيين قائلاً:

" وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء. . . . وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهو حق وليست كذب. كما علمتكم تثبتون فيه" (١يو٢: ٢٠ و٢٧).وهنا نجد مسحة الروح القدس التى يتمتع بها كل مؤمن هى مصدر معرفتنا بصحة إيماننا . واستمر يوحنا ليوضح أن الاثنين يسيران معاً، الثقة التى يعطيها الروح القدس مع الأدلة والبراهين البشرية "فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس،وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد.إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم لأن هذه هى شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه. من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة فى نفسه "(١يو٥:٧-١٠).ربما يشير الماء هنا إلى"معمودية المسيح"، والدم إلي"صلبه". وهذان الحدثان عبارة عن علاقتين بارزتين فى بداية ونهاية خدمة المسيح الأرضية.

إن "شهادة الناس " هي عبارة عن شهادة الرسل للأحداث التي مر بها

المسيح فى حياته وخدمته. ويوضح يوحنا أنه بالرغم من أن شهادة الناس صحيحة ، ولكن تظل الشهادة الداخلية للروح القدس أعظم . إن مثل هذه العبارة مهمة جداً لأن يوحنا فى إنجيله أوضح أهمية كبرى على شهادة الرسل فقال: "وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو ابن الله . . . وهذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق "(يو٢٠: ٣١، ٢١: ٢٤).ويؤكد فى رسالته الأولى أن المعرفة التى وهبت لنا بالروح القدس هى أعظم تأكيد من شهادة الرسل أنفسهم.

إن العهد الجديد يعلمنا إذاً أننا نستطيع أن نتأكد من صحة إيماننا من خلال شهادة الروح القدس نفسه فينا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما هو الدور الذى يقوم به العقل في هذه المسألة؟ أعتقد أن التمييز الذى قدمه لنا المصلح البروتستانتى العظيم مارتن لوثر يمكن أن يساعدنا هنا . لقد ميز لوثر بين نوعين من استخدام العقل "دور المتسلط " " Magisterial" و"دور الخادم (Ministerial) . فى الاستخدام السلطوى للعقل نجعل العقل يجلس فوق الإنجيل كقاضٍ ليحكم هل هذا صواب أم خطأ. وفي استخدام العقل كخادم، يخضع العقل ويخدم الإنجيل، وليس للعقل الحق فى أن يناقضه.

بدلاً من ذلك يجب أن يقوم العقل بدور الخادم. فالعقل هو الوسيلة التى أعطاها الله لنا لتساعدنا لنصل لفهم أفضل لإيماننا. ولذلك فإن الروح القدس يعطينا تأكيداً وفهماً للحقائق الأساسية لإيماننا ، ولكنه لا يعطينا معرفة لمختلف القضايا والمشاكل،فمثلاً موضوع سرمدية الله، أو كيف نوفق بين قضاء الله

وحرية الإنسان، أو كيف نفهم عقيدة الثالوث. كل هذه الأمور وغيرها علينا أن نفكر فيها كثيراً بعقولنا.

وكما ذكر القديس انسليم(أن إيماننا هو الإيمان الباحث عن الفهم) . وبنفس الأسلوب نقول يمكن أن نستخدم العقل في الدفاع عن الإيمان بتقديم أدلة وبراهين على وجود الله، أو تفنيد الاعتراضات. ولكن بالرغم أن الأدلة والبراهين تطورت كثيراً لتؤكد صحة إيماننا ، إلا أنها ليست أساس الإيمان، لأن هذا الإيمان يدعم بشهادة الروح القدس نفسه، لدرجة أنه لم يكن هناك أي دليل للدفاع عن إيماننا ، فإن إيماننا سيبقى قائم على أساس ثابت.

والآن ما الذي يمكن أن نستنتجه من كل هذا فيما يختص بمشكلة الشك؟

ببساطة هو الآتي: يمكن أن نتغلب على الشك طالما أن العقل لا يقوم بدور السلطة العليا. ومادام العقل يقوم بدور الخادم فبالتأكيد الروحي لإيماننا لا يمكن أن يدحض. إن الشك يصبح خطراً في حالة واحدة هي عندما نسمح للعقل بأن يأخذ دور السلطة العليا ، ويأخذ مكان الروح القدس.

هذا لا يعني أن المسيحية ضد العقل، علي العكس، فأنا أؤمن أنه إذا كان هناك شخص ما يمتلك كل الحقائق ولا يرتكب أي خطأ وأعلى العقل دور السلطة العليا في الحكم فإنه حتماً سيصل إلى كل الحقائق ولا يرتكب أي خطأ وأعلى العقل دور السلطة العليا في الحكم فإنه حتماً سيصل إلى النتيجة بأن المسيحية صحيحة. بالطبع إنه لا يوجد شخص بهذه المواصفات إلا الله.

ولكن النقطة هنا أن الناس في مختلف العصور والأماكن بمختلف الإمكانيات والقدرات والفرص لا يمتلكون كل الحقائق إلى جانب أنهم يرتكبون أخطاء

عقلية، فإذا أعطى الإنسان للعقل السلطة العليا في الحكم وهو لا يمتلك كل الحقائق وغير معصوم من الخطأ فمن الصعب أن يصيب فى حكمه. لذلك إذا تجاهل الإنسان شهادة الروح القدس أمام هذه المواقف المختلفة فإنه حتماً سينقاد للإلحاد.

على الجانب الآخر إذا انتبهنا لشهادة الروح القدس ولم نسمح للعقل بأن يتجاوز دوره، فحينئذ لا يمكن أن نفقد إيماننا حتى لو واجهتنا بعض الاعتراضات ولم نستطع بقدراتنا المحدودة أن نجد إجابات كافية لها. إن الفيلسوف المسيحى العظيم الفن بلانتينا (Alvin Plantinga) قدم توضيحاً رائعاً لما أقصده هنا، فقال" أنا أنتمى إلى جمعية (National Endowment For The Humanities)، وقد كتبت خطاباً لأحد زملائى محاولاً أن أرشيه ليكتب للجمعية خطاباً شديداً بدلاً منى، ولكنه رفض بغضب، وأرسل الخطاب لرئيسى في العمل. ولكن الخطاب اختفى من مكتب الرئيس فى ظروف غامضة.لقد كان لدى الدافع لسرقته. وأُتيحت لى فرصة لأسرقه، ولقد عُرِف عنى القيام بمثل هذه السرقات فى الماضى. أضف إلى ذلك أن هناك أحد الأشخاص الموثوق فيهم من نفس القسم ادّعى أنه رآنى وأنا أتسلل إلى مكتب الرئيس فى نفس الوقت الذى تمت فيه سرقة الخطاب. إن الأدلة ضدى قوية جداً، وقد عنّفني صديقى بشدة على هذا السلوك الاحتيالى، وقد عاملنى بطريقة سيئة. وحقيقة هذا الموضوع أنى لم أسرق الخطاب، وقد قضيت ذلك المساء بالكامل وأنا أتمشى بمفردي وسط الغابات ، حتى أننى قضيت ليلتى هناك.

فى حالة كهذه تجد أن كل الأدلة ضدى وتديننى ولكنى أعرف أنى لست مذنباً، لأن كل الأدلة التى ذكرتها لا يمكن أن تتغلب على الحقيقة التى أملكها

وهى أننى برىء، وحتى ولو أن الناس كانوا يمتلكون أدلة أقوى ، ويظنون أنى مذنب ، فإنى لا أصدق لأنى أعرف الحقيقة ". وبنفس الطريقة فإن شهادة الروح القدس فى حياتى تعطينى يقيناً وضماناً أكيداً لصحة إيمانى، ولن أتزعزع حينما تقابلنى الاعتراضات حتى التى لا أستطيع الإجابة عليها، لأن أساس الإيمان عندى أقوى وأعمق من كل الحيل والاعتراضات التى تواجهنى.

والنقطة المهمة هنا: إن السر في تناول الشك فى حياتنا المسيحية ليس هو أن تجد حلاً لكل ما يقابلك من شكوك لأن هذا ربما يكون مستحيلاً فى حياتنا المحدودة، وسيظل الإنسان يحمل أسئلة بلا إجابات. والأفضل أن تتعلم أن تعيش منتصراً بالرغم من وجود الأسئلة التى لا تجد لها أجوبة. وأن تفهم الأساس الحقيقى لإيماننا وأن تعطى للعقل الدور المناسب له يمكن أن تتوقف عن الأسئلة التى لا تجد إجابات لها من أن تتحول إلى شكوك مدمرة. فى مثل هذه الحالة لا يمكن أن يكون لدينا أجوبة على كل الأسئلة التي تواجهنا ولكن بإحساس داخلى عميق نشعر أنه لا توجد مشكلة ، لأننا نعرف أن إيماننا هو إيمان حقيقى وصحيح ومؤسس على شهادة الروح القدس، ونستطيع أن نعيش بثقة بالرغم من وجود الأسئلة غير المجابة. وهذا هو السبب الذى يجعلنا أن نقول إنه من المهم أن نحفظ التوازن دائماً بين العقل والإيمان.

ثالثا: تذكر محدودية عقلنا ومعرفتنا الضعيفة:

قال سقراط إنه أحكم رجل فى أثينا لأنه يعرف أنه لا يعرف شيئا. وعندما واجه الرسول بولس الغنوسيين والذين يعطون كل الأهمية للمعرفة اتخذ أسلوباً متشابهاً فكتب عن المعرفة " العلم ينفخ ولكن المحبة تبنى فإن كان أحد يظن

أنه لا يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف. ولكن إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده" (١كو ٨:١-٣).

فبحسب كلام بولس،إن كنت تظن أنك ذكي بحيث تعرف كل شيء عن الله فأنت في الحقيقة لا تعرف شيئاً ومغرور، بينما على العكس من ذلك فإن الشخص الذى يحب الله هو الذى يسير فى طريق المعرفة الحقيقية لله.

ربما قد تكون هذه الفكرة قد حطمت الكثير من أفكارنا القديمة، أو تصيبنا بالدهشة، لأن هذا يعنى أن أبسط طفل من أولاد الله يعيش في حب الله هو أعظم وأحكم فى نظر الله من أعظم عبقرى مثل برتراند رسل الذى لم ير العالم مثيلاً له.

إننا نحتاج كمسيحيين أن ندرك ضعف ومحدودية معرفتنا الإنسانية، إننى أستطيع أن أعترف بصدق بأنه كلما تعمقت في المعرفة كلما شعرت بجهل أكثر. والدراسة الأعمق تساعدنا بأن نفتح بصيرتنا وإدراكنا على لا نهائية المعرفة، حتى فى مجال الإنسان الخاص، فما يعرفه الإنسان حقيقة لا شيء. لقد قرأت عبارة كتبها العالم العظيم إسحق نيوتن في نهاية كتابه العظيم فى الفيزياء (Principia) "إنه يشعر مثل طفل صغير يلعب في الرمل على شاطيء محيط كبير ممتليء بالحقائق غير المعروفة له. إذن فكم هي ضعيفة ومحدودة وغير مؤكدة هى معرفتنا العقلية.

عندما كنت أدرس أنا وزوجتى فى انجلترا، قمت بزيارة المؤرخ العظيم فردريك س. كوبلوستون(frederickc. Copleston) في لندن. لقد قضى حياته بالكامل في كتابة تسع مجلدات ضخمة في تاريخ الفلسفة، من الفلسفة

اليونانية القديمة وحتي القرن العشرين، إلي جانب الأعمال الأخرى العظيمة فى عدة مواضيع مختلفة مثل الفلسفة الشرقية، والفلسفة الروسية. ولقد سألته إذا كان بعد كل هذا العمر الذى قضاه في الدراسة قد تعلم درساً من تاريخ الفلسفة. فأجاب إنه بالفعل قد تعلم عدة دروس، ثم بدأ يشرح قائلاً إنه عندما بدأ الدراسة كان يظن أن فلسفة توما الأكوينى هى أقوى فلسفة والتى يمكن أن تستمر مع الزمن، ولكن سرعان ما أصبح واضحاً بالنسبة له أن هذا الأمر مستحيل الحدوث.

واتضح له عكس ما كان يعتقد،فإن فلسفة أى إنسان ترتبط باليوم والعصر الذى يعيش فيه، وبأنماط الفكر والحضارة السائدة. وهذا لا يعنى أن كوبلستون كان يؤمن بالنسبية، ولكنه يقصد أنه يجب أن نكون حذرين وحريصين فيما ندّعى عند اكتشافنا لبعض الحقائق وأن نكون متواضعين أمام إنجازاتنا العقلية.

كيف نطبق كلام كوبلستون على مشكلة الشك؟ هذا يعنى أنه يجب أن نكون حذرين عندما نقول إننا تغلبنا على الشك فى صحة إيماننا بشكل قاطع. ومن الجميل وغير محتمل الحدوث أن تواجهنا اعتراضات لا تُدحض. إن تاريخ الفلسفة مشحون بحطام الاعتراضات. والثقة التى يعطيها الروح القدس لنا تجعلنا نحترم البراهين والاعتراضات التى تسبب لنا الشك . لقد صُدمت عندما قرأت بعض العبارات لفلاسفة غير مسيحيين يدّعون فيها أنهم يستطيعون البرهنة على أن الله ليس كلي القدرة، أو أنه لا يمكن أن يكون عليم بكل شيء، أو أنه من المستحيل أن تحدث معجزات، وبعض الادعاءات المشابهة لذلك والمتغطرسة. لقد قرأت مقالاً من فترة قريبة لفيلسوف يدّعى أنه يستطيع البرهنة على أن الله لا يستطيع أن يعرف أنه الله! ويتضح في هذا المقال أن

المشكلة ليست فى أن ملخصه مبنى على أفكار هزلية خادعة، وإنما المشكلة تكمن في أن المقال فى مضمونه الحقيقى هو تكفير للدين. وهكذا تظهر الفلسفة في أسوأ صورها، وهذا ما حذر منه بولس قائلاً :" انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح" (كو ٢: ٨) إذا لم نستطع أن نجد حلولاً وإجابات بعقلنا المحدود ومصادرنا العاجزة لبعض المشاكل والاعتراضات التى تواجهنا، أو بعض التناقضات الواضحة مثل كيف نوفق بين قضاء الله وحرية الإنسان، فبدلاً من الشك أو إنكار الإيمان المسيحى لنتمسك بالحق ونعترف بأن الصعوبة تكمن فى نقص وضعف قدراتنا بالنسبة للمشكلة وحلها.

فنحن بحاجة لنتذكر دائماً محدودية قدراتنا العقلية ومعرفتنا.

رابعا: تتبع شكوكك حتي تقهرها:

لقد رأينا سابقاً أن سر التغلب على الشكوك فى حياتنا لا يمكن فى محاولة الوصول إلى إجابة على كل سؤال أو اعتراض يواجهنا بل فى أن نعيش الحياة المنتصرة رغم وجودأسئلة فى حياتنا بلا أجوبة. إن أى مفكر مسيحى بالتأكيد ستجد لديه "عدة أسئلة" منها الأسئلة الصعبة والمشاكل التي بلا إجابات، ولكنه تعلم أن يتعايش معها. ولكن من وقت لآخر، كلما تحين الفرصة، سيكون من الأفضل أن تُنزل حقيبة الأسئلة من على الرف وتختر واحداً من بين هذه الأسئلة وابدأ فى البحث عن إجابة له. وحقاً أستطيع أن أقول لك إن البحث الجاد عن أجوبة لمثل هذه الأسئلة الصعبة وتعقبها حتى تجد إجابة لها سيشبعك عقلياً جداً ويصبح واحداً من أروع الاختبارات الروحية في حياتك المسيحية. فعندما تجد إجابة لأحد الأسئلة التى كانت تشكك وتؤرق حياتك وتتعبك

فهذايجلب عليك إحساس رائع بالسلام العقلى، ويمنحك ثقة بأن هناك حلولاً لباقى الصعوبات والاعتراضات الموجودة داخل حقيبة أسئلتك .

عندما تحيط بك الشكوك بسبب موضوع ما ، أو سؤال معين خصص جزءاً من وقتك لدراسة هذا الموضوع، واقرأ فى هذا الموضوع بعض المقالات أو الكتب التى تعالجه. وإذا كان متاحاً لك فى المنطقة التى تعيش فيها وجود مكتبات مسيحية للقراءة سواء فى كنائس أو كليات لاهوت فهذا سيكون من أكبر العوامل المساعدة لك فى هذه الدراسة. وتستطيع أن تستعير الكتب المفيدة لك فى هذا الموضوع. ابحث عن الكتب التى كتبها الأساتذة المتخصصون فى هذا الموضوع، وحاول أن تكتب لهم لتناقشهم فيما كتبوا ، واذا كان ضرورياً حاول أن تزورهم لتناقش معهم الأمر.لا تكف عن البحث والحديث مع أعضاء جسد المسيح الذين سبق لهم دراسة هذا الأمر.

بهذه الطريقة سيساعد أعضاء الجسد الواحد فى بناء بعضهم البعض. ولكن لا تدع شكوكك تستقر فى داخلك بل حاول أن تتّبعها وتطاردها حتى تطرحها أرضاً.

إن الشك تجربة مريرة وقاسية في الحياة المسيحية ولا يوجد علاج سريع لحلها. فهى تحتاج إلى صبر واحتمال. ولكننى أثق أنك ستجد فى الأربع نقاط التى قدمتها لك مساعدة كبيرة فى التغلب على الشك.

واطلب من الله أن يعطينا بالروح القدس هبة الإيمان حتى نستطيع أن نقهر الشك ونستأسر كل فكر لطاعة المسيح.

الفصل الثانى

الصلاة غير المستجابة

لقد وعد الرب قائلاً: "ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله"وكرر هذا الوعد مرات أخرى بكلمات مختلفة يذكرها يوحنا البشير وخاصة فى الأصحاحات ١٤، ١٥، ١٦ فيقول :"ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله "(يو١٤ :١٣) وأيضاً "لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى "(يو١٥ :١٦).وأيضا "الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم باسمى يعطيكم"(يو١٦ :٢٣).

ولا شك فى أن يسوع كان صادقاً في هذه الوعود الرائعة. ولكن المشكلة تكمن في أن البعض يري هذه الوعود وكأنها غير حقيقية، وغالباً عندما يحثنا الواعظ على التمسك بمثل هذه الوعود في حياتنا الشخصية فإننا نسمعها بانبهار ولكن لا نتمسك بها.

وليست المشكلة هنا في عدم ثقتنا فى هذه الوعود ، فمن السهولة أن لا نصدق وعوداً مثل هذه. ولو كنا صادقين مع أنفسنا لكان كل واحد منا يدرك أن الله أحياناً لا يستجيب لصلواتنا. وفي الحقيقة هو لا يستجيب لصلواتنا لأننا في كثير من المرات نطلب أشياء متناقضة. فأتذكر عندما كنت طالباً فى جامعة وايتن أن شابين كانا متعلقين بفتاة واحدة، وكان كل واحد منهما يصلى أن يحول الله مشاعرها ناحيته ليتمكن من الارتباط بها. ولا شك فى أن الله سوف لا يستجيب لصلاة أحد هذين الشابين علي الأقل ، فهو لا يمكن أن يستجيب الصلاتين فى وقت واحد لأنهما متناقضتين.

وتخيل معى لوأن هناك شخصين مسيحيين يتنافسان فى مباراة رياضية، وكل منهما يصلى لكي يفوز فريقه فى المباراة، فكيف يستجيب الله لهما ،

وهما يطلبان طلبتين متناقضتين.

لاشك في أن كل واحد منا قد اختبر الصلوات غير المستجابة، فقد تطلب من الله أن يفعل لك شيئاً معيناً وتظن أنه لمجده، وتصلى بإيمان وثقة و الله لا يستجيب لك. ومن بين الصلوات الكثيرة التى فى بعض الأحيان لا تجد استجابة، الصلاة من أجل الشفاء. أعرف كنيسة مرض أحد أعضائها، ورفعت الكنيسة كلها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله، وكان الشعب كله له الإيمان الواثق وينتظر تحقيق المعجزة، ولكن مات الرجل. وعدد كبير تشكك في إيمانه، فلقد طلبوا من الله بإيمان أن يفعل شيئاً باسم المسيح ولم يفعل، لقد ظنوا أن وعد يسوع غير حقيقى أو ربما الإيمان المسيحى بالكامل غير حقيقى.

إن مشكلة الصلوات غير المستجابة لا تواجه العلمانيين فقط بل وأيضاً القادة الروحيين. فلقد سمعت مرة "كليف باروس (Cliff Barrows)" وهو يقول إن زملاءه فى فريق مع بلى جرهام قد توقفوا عن الصلاة من أجل تحسن الطقس منذ فترة طويلة، فلقد كان عدداً كبيراً يتعطل بسبب المطر، ولم تكن صلواتهم تستجاب دائماً.

وروى مرة بيل جوثارد (Bill Gothard) فى إحدى محاضراته التى قدمها للشباب قصصاً لاتُصدق الواحدة بعد الأخرى عن كيف أن الله كان يُعد له المبالغ اللازمة لتسديد احتياجاته، ولكنه اعترف أيضاً قائلاً : "إنها لم تكن تأتى دائماً فى اللحظة الحاسمة."وقال أيضاً أن هناك صلوات لم تكن لها استجابة.

ربما يقول شخص ما أنت لا تستطيع إن تستخدم الاختبارات البشرية لتقيّم

وتقيس بها وعود الله. ولكن المشكلة تكمن أيضاً في أن الكتاب المقدس نفسه يقدم لنا نماذج لصلوات غير مستجابة. فمثلاً عندما كان الرسول بولس يعاني من شوكة في الجسد تضرع إلى الله ثلاث مرات لكي تفارقه "٢كو١٢:٧" ولكن الله لم يستجب. وفي مرة أخرى طلب الرسول بولس من أعضاء كنيسة رومية أن يجاهدوا في الصلاة من أجله لكي ينقذه الله من غير المؤمنين الذين في اليهودية، لكي يتمكن من زيارتهم (رو١٥:٣١)، ولكنه لم ينجو. ونقرأ في سفر أعمال الرسل "أع٢١" قصة القبض عليه في أورشليم وحبسه وما تبعه بعد ذلك من استشهاد . . فالكتاب المقدس يحوي نماذج لصلوات لم تجد استجابة. ومع ذلك يبقى وعده أمامنا "مهما سألتم باسمي أفعله". وهنا تظهر مشكلة كبيرة كيف وعد بالاستجابة ثم نجد عكس ذلك؟ هل وعده غير صحيح؟ وكيف يكون المسيح هو الله ووعده لا يتحقق؟ كيف نحل مشكلة الصلوات غير المستجابة؟

دعنا أولاً نناقش الحلول غير الوافية التي يقدمها بعض المسيحيين اليوم لحل هذه المشكلة. فهناك من ينكر عدم استجابة الصلاة، ويقول إن كل الصلوات تُستجاب، وهذا رد أغلب الأصوليين "Radical". وهناك الكثيرون الذين يستحسنون هذا الرأي. أذكر مثلاً عندما كنت أنا وزوجتي "Jan" جان نعمل مع هيئة الكامبس كورسيد في جامعة "الينوي" (Illinois)كادت خدمتنا تتعطل بسبب أولئك المسيحيين الذين يؤمنون بأن كفارة المسيح تشمل شفاء الجسد أيضاً، وهكذا لا يجب أن يمرض المؤمن، وإذا مرض حالما يصلي ينال الشفاء.ونتيجة لهذا المفهوم كنت أرى بعض تلاميذي يلقون نظاراتهم جانباً ويدّعون الشفاء بالرغم من أنهم غير قادرين على رؤية الأشياء التي أمامهم

بوضوح. وأتذكر أنني تحاورت مع واحد منهم وقلت له:"هل شُفيت؟ "فأجاب : "نعم " فقلت له: :هل ترى أي تحسن؟" فاعترف قائلاً " لا" حينئذ سألته" كيف تكون قد شفيت إذا كنت لا تشعر بأي تحسن؟" فأجاب : " لأن إيماني ليس قوياً بالدرجة الكافية ، لقد شفيت ولكن ليس لدى إيمان لكي أصدق هذا".

إن هؤلاء الطلبة المساكين،قصيرى البصر حاولوا الدراسة وحضور المؤتمرات بدون النظارات مدعين أنهم نالوا الشفاء ولكن نتيجة ضعف إيمانهم هم لا يصدقون أن الله استجاب لهم.

وماذا يقول أولئك المسيحيين عن شخص مات بالسرطان بالرغم من كل الصلوات التى كانت تُرفع من أجله؟ فهل سيقولون إنه حي وفى حالة أفضل ولكن بسبب ضعف إيمانه يبدو أنه ميت؟

إن مثل أولئك المسيحيين لا يحتاجون إلى مزيد من الإيمان ولكن إلى الحكم الصائب على الأمور .

- وعد آخر يقول : إن الله دائماً يستجيب الصلاة ، ولكن إما أن يستجيب (بنعم) أو(لا) أو (ينتظر). والصلاة التي لا تتحقق لا يعنى أنها غير مستجابة، بل الله اعتنى وأجاب بقوله "لا". وأنا أرى أن هذا التفسير يتلاعب بالألفاظ. إن ما نعنيه بالصلاة غير المستجابة هى الصلاة التى تُجاوب بالنفى. فلقد وعد يسوع بأنه مهما سألنا باسمه سيفعله، فليس حلاً أن نقول لشخص ما إن الله استجاب صلاتك بالنفى لأن وعده أنه سيستجيب بالإيجاب. فكيف نقول إنه أجاب بالنفى؟ وتبقي المشكلة.

والحل الثالث وهو غير كاف أيضاً، والذى يذكره بعض المسيحيين أحياناً،

وهو غير منطقى بالمرة أن الله يستجيب لصلواتنا. ذات مرة كنت فى أحد الاجتماعات، وكانت ترفع صلوات إلى الله من أجل إنسان مريض حالته خطرة، يرقد فى المستشفى لكى يمد الله يده وينقذه ليخرج من المستشفى. وفى اليوم التالى مات الرجل. وفى الاجتماع التالى وقف الرجل الذى قادنا فى الصلاة من أجل هذا الرجل قبل أن يموت بيوم واحد وأعلن أن الله قد استجاب صلواتنا وقال: " لقد طلبنا من الله أن يخرجه من المستشفى ولقد حدث هذا فاحمدوا الله. "وهذا النوع من التبرير خطير وغير أمين. لقد كان واضحاً أن القصد من صلواتنا أن يشفى الرب المريض، وأن يخرج من المستشفى صحيحاً لا ميتاً. إن هذا التبرير لاستجابة الله لصلواتنا من أجل هذا المريض، يصور لنا الله وكأنه عفريت مصباح علاء الدين الذى يتمم ما نذكره لفظاً فقط ويحذف نيتنا وقصدنا جميعاً، وكأننا نتعامل مع شخص لا يعرف شيئاً عن احتياجاتنا، وهذا ليس إله الكتاب المقدس. فلماذا لا نكون أمناء ونعترف بأن الله لا يستجيب الصلاة؟

أنا أعتقد أن الحل المتكامل يختلف تماماً عن الحلول الثلاثة السابقة، فأنا لا أعتقد أن وعد يسوع مجرد عبث، فهو صادق وأمين في كل ما يقول. ولكن ليس بسهولة أو عدم استحقاق أن ننال أى شيء نطلبه فى اسم المسيح. فوعد المسيح يتحقق عندما نتمم باقى تعاليم الكتاب المقدس التى تتعلق بهذا الوعد. فالكلام عن أحقية الوعد ربما يحزنك ولكن دعنى أوضح لك هذا الأمر.

هناك تعاليم قدمها يسوع إذا أردنا أن نعرفها معرفة كاملة تحتاج أن نقارنها بالتعاليم الأخرى التي قدمها يسوع فى مواقف متشابهة. فمثلاً تعاليم يسوع عن الطلاق،نجده يقول فى (مر ١٠:١١) "فقال لهم من طلق

امرأته وتزوج بأخرى يزنى" وهنا نجد أن يسوع لم يسمح بأى استثناء للطلاق. ولكنه فى (مت١٩ :٩) يقول : "وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى. " وهنا نري تكامل التعاليم إذ يقدم يسوع بخصوص الصلاة ما نحتاج أن نعرف فى ضوء باقى التعاليم التى قدمها يسوع عن الصلاة لكى تتضح الصورة. ففى تعاليم يسوع سنجد شروط تحقيق هذا الوعد ، وإذا لم نتمم أحد شروطه لا يجب أن نطالب بتحقيق الوعد.

فما هى شروط تحقيق هذا الوعد ؟ إن البعض يقدمها تحت عنوان " معوقات استجابة الصلاة" دعنا الآن نتأمل البعض منها :

أولاً:خطية فى القلب:

إن السبب الرئيسى الذى يعوق استجابة الصلاة وجود خطية فى القلب. إن وعد يسوع يتحقق لمن يعيش فى ملء وقوة الروح القدس. والمسيحى الذى يعيش تحت سلطان الجسد، وفى قلبه خطية لم يعترف بها هو نفسه يفقد الثقة في استجابة صلاته. يقول كاتب المزامير : " إن راعيت إثماً فى قلبى لا يستمع لى الرب "(مز٦٦ :١٨) . ويكتب الرسول بطرس إلى الأزواج قائلاً:"كذلك أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائى كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة لكى لا تعاق صلواتكم "(١بط ٣:٧) . وعندما نتأمل فى هذه الكلمات سنجد أن مجرد معاملة الزوجة بطريقة غير صحيحة يعيق استجابة الصلاة. إن وعد يسوع مقدم للمؤمن الثابت فى المسيح، ويعيش الوصايا ، ويسلك فى النور، وممتلىء من الروح القدس، ويحب الإخوة. وعندما نفكر فى هذه الأمور سنجد أنه بنعمة الله فقط تستجاب صلاة

أي شخص منا .

ثانيا: الدوافع الخاطئة:

كثير من صلواتنا لا تجد استجابة لأن دوافعنا غير صحيحة، فمعظم صلواتنا تتركز حول الذات (أعطني ، أعطني، أعطني).نعم لقد وعد يسوع "اسألوا تعطوا . . . " (مت٧:٧).ولكن الرسول يعقوب يشرح لقارئيه قائلاً: (تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون ردياً لكي تنفقوا في لذاتكم) (يع٤:٣).

إن وعد يسوع لا يشمل الصلاة المركزة حول الذات. إنني أتذكر أنه وقعت في يدي مذكرة قديمة تتكلم عن عدم وجود نهضة في الكنيسة اليوم. وكان أحد الأسباب مكتوباً تحت عنوان ساخر وهو " القديس المعاصر يصارع مع قوى الظلام "ويرسم الكاتب صورة لإنسان راكع بجوار سريره ويصارع مع الله في الصلاة قائلاً: "إلهي من فضلك أعطني تليفزيوناً بالألوان، أنت يارب تعلم مدى احتياجنا إليه، فمن فضلك ساعدني لأقتني هذا الجهاز".

إن الدافع الصحيح للصلاة هو مجد الله، وفي العهد القديم نجد الكثير من الصلوات والتي أساسها أن يعمل الله شيئاً من أجل اسمه. فمثلاً عندما أخذ حزقيا رسائل التهديد التي وصلته من الملك سنحاريب ملك أشور داخل الهيكل ونشرها أمام الرب وصلى قائلاً: "أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض . . أمل يا رب أذنك واسمع. افتح يارب عينيك وانظر . . . أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الإله وحدك" (٢مل ١٩: ١٥، ١٦، ١٩) .

ولقد كانت صلاة المسيح" أيها الآب مجد اسمك" (يو١٢:٢٨). وهكذا

يجب أن تكون دوافعنا ونحن نصلى أن نطلب مجد الله وليس مجرد أشياء لإشباع رغباتنا فقط.

ثالثا: ضعف الإيمان:

لقد وضح يسوع مراراً وتكراراً أن الصلاة المستجابة هي صلاة الإيمان. فلقد قال لتلاميذه: "لذلك أقول لكم ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم "(مر١١: ٢٤).

وهنا نرى أن الوعد يفترض أن تكون الصلاة بإيمان . فإن كنت تؤمن بكل قلبك أن الله سيستجيب طلبتك ولا تشك فستجد استجابة، وبالمثل فإن الشخص الذى تسيطر عليه الشكوك لا يمكن أن يجد استجابة لصلواته.

فيقول الرسول يعقوب فى هذا المجال " ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب. رجل ذو رأيين هو متقلقل فى جميع طرقه"(يع١: ٦- ٨).

ولا شك أن هذه الفقرة تثير الكثير من الأسئلة الصعبة بخصوص كيفية الحصول على مثل هذا النوع من الإيمان. ولكن لا مجال لهذه الأسئلة الآن، والإيمان المطلوب ليس كبيراً ولكن كما يقول الرب يسوع مثل حبة الخردل (لو ١٧: ٦) والإيمان هو عطية الله (أف ٢: ٨).

لذلك علينا أن نصلى دائماً "أؤمن يا سيد فأعن عدم إيمانى "(مر٩: ٢٤). وعلى كل حال فالنقطة الرئيسية هنا هي أن وعد يسوع لكى يتحقق لابد وأن

تكون الصلاة بإيمان.

رابعاً: غير جادين:

أحياناً كثيرة لا نجد استجابة لصلواتنا لأننا بصراحة لا نطلب بجدية . ففى مرات كثيرة ونحن فى حلقات الصلاة إن جاز التعبير أقول إننا نصلى بالصدفة، ما يُطلب منا أن نصلى لأجله، وبعد حلقة الصلاة ننسى تماماً ما كان يجب أن نصلى لأجله. وقد نتذكر بصعوبة بعد ذلك أن نسأل الشخص الذى صلينا من أجله،عن مدى الاستجابة، إننا فى الحقيقة لا نهتم. وهذا ما حدث معنا عندما كنت أنا وجان (Jan) فى أزمة مالية ونحتاج مساعدة للسفر إلى أوربا للدراسة، وعندما كنا نشارك بعض الأصدقاء، وكان هناك من يقول لنا: "سأصلى من أجلكما "،وعادة ما كانت هذه العبارة تعنى "إن هذا أمر لا يهمنى ولا أستطيع أن أساعدكما مادياً". وبالرغم من أن هذا صحيح ولكنى كنت أشك أيضاً أنه سيصلى من أجلنا بجدية.

من سوء الحظ أن معظم المسيحيين لديهم مفهوم أن تعضيد الصلاة أقل من المساعدة المادية، ولكننا نستطيع أن نقول إن العكس هو الصحيح وخاصة عندما يكون المصلى مشغولاً بالموضوع ومتحمساً له، فحماسه يدفعه لا أن يصلى فقط ولكن أن يبذل كل مجهود ممكن. إن كتابة شيك بمبلغ كبير لتسديد احتياج معين من شخص لا يبالى بالموضوع لا يأخذ مجهوداً، بعكس شخص آخر يصلى بحماس من أجل الموضوع ويقدم مساعدة ولو بسيطة بقدر إمكانياته.

فلا شك فى أن الصلاة الجادة الخارجة من القلب تجعل الله يصغى إليها ويتجاوب معها. إن أعظم الصلوات فى الكتاب المقدس التى وجدت استجابة

يرجع إلى السبب الرئيسى لجدية من رفعوها. والمثال الرائع لذلك صلاة حنة أم صموئيل لكى يعطيها الله طفلاً فى الأصحاح الأول والثانى من سفر صموئيل الأول، لقد كانت جادة جداً فى صلاتها لدرجة نسيانها لكل شيء بجوارها حتى إن عالى الكاهن ظن أنها سكرى.

والمثال الأروع هو الرب يسوع نفسه الذى كِتب عنه أنه قضى الليل كله فى الصلاة. اقرأ صلوات يسوع واسأل نفسك هل كان يسوع جاداً فى صلاته أم لا ؟ إن صلواتنا لا تجد استجابة فى كثير من المرات لأننا لا نقدمها بجدية.

خامسا:عدم المثابرة فى الصلاة :

والمواظبة لها علاقة كبيرة بالحماس. إن عدم المواظبة هو أحد أسباب عدم استجابة الصلاة. فمن السهولة أن نكف عن الصلاة. فنحن من أجل الأمرنصلى مرة أو مرتين فقط ثم نكف عن الصلاة. هناك بعض المسيحيين يقولون إن كل الذى عليك أن تصلى مرة واحدة من أجل الشيء الذى تريد أن تصلى من أجله، ثم ضعه بين يدى الله واهدأ وثق أنه سيهتم بالأمر. ولكن أقول بثقة إن هذه ليست تعاليم يسوع.فكِّر فى مثل صديق نصف الليل الذى قرع باب صديقه يطلب خبزاً (لو١ :٥-٨). لقد رفض صديقه في البداية أن يقوم من فراشه ويعطيه، ولكن لما استمر هذا الرجل المحتاج فى القرع على الباب قام وأعطاه قدر ما يحتاج، ويعلق الرب يسوع قائلاً "فكم بالحرى أبوكم السماوى".وفى مثل قاضى الظلم (لو١٨ :١-٨)يحدثنا الرب يسوع عن قاضى لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً. وكانت هناك أرملة تطلب منه أن ينصفها من خصمها ولكنه لم يفعل شيئاً، إلا أنها استمرت فى الإلحاح عليه فقال فإنى لأجل أن هذه

الأرملة تزعجني أنصفها لئلا تأتي دائماً فتقمعني" (لو١٨: ٥). ونقطة التركيز في هذا المثل كما يوضحها الرب يسوع هي: "ينبغي أن نصلي كل حين ولا يمل"(لو١٨: ١).فإن كنت تريد شيئاً لتتجه إلى باب وتطرقه واستمر في القرع وهو لا يخيب منتظروه.

في حياتنا أنا وجان اختبارات عجيبة استجابة لصلواتنا. لقد حصلت على منحة دراسية من ألمانيا الغربية لدراسة براهين القيامة، وكانت هذه المنحة استجابة لصلواتنا التي رفعناها لفترة طويلة صباحاً ومساء أسابيع عديدة. لا تكف عن الصلاة وسترى ماذا يفعل الله معك .لقد رفعت الكنيسة صلاة بلجاجة إلى الله من أجل بطرس الملقى في السجن ومحفوظ وسط أربعة أرابع من العسكر فمد الله يده وأرسل ملاكه وأنقذه.

هذه هي بعض معوقات استجابة الصلاة:الخطية في القلب، الدوافع الخاطئة، ضعف الإيمان، وعد يسوع بثقة "ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله"(يو١٤: ١٣).

ولكن هذه ليست نهاية القضية لأن الأمر يدعو إلى اليأس في عدم استجابة الصلاة رغم أنه لا توجد المعوقات السابقة إلا أنه ليس من استجابة. ففي كثير من الأحيان نعترف بكل خطية في حياتنا، ونصلي لمجد الله. ونطلب بإيمان وحماس ومثابرة وننتظر ولكن الله لا يفعل شيئاً كما وعد الرب يسوع. والحقيقة هي أنه عندما تتوافر شروط استجابة الصلاة التي ذكرناها من قبل يصبح اختبار الصلاة غير المستجابة محبط ومدمر للروح المعنوية. ولذلك يبقى الشيء الأخير والمهم جداً والأساسي ليصبح وعد يسوع قابلاً للتتنفيذ وهو:

أن تكون طلباتنا وفق مشيئته. لقد أوضح الرسول يوحنا هذه النقطة الأساسية

قائلاً "وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا..... نعلم أن لنا الطلبات التى طلبناها منه" (١يو٥: ١٤و١٥).

ففى بعض الأحيان لا نجد استجابة لصلواتنا وذلك ليس لعيب فينا بل لأن الله يعرف الأفضل لنا أكثر مما نعرف نحن. إن معرفتنا وعلمنا بالمستقبل محدود، ولكن الله يعرف كل تفاصيل المستقبل، فإن كنا لا نعرف عن المستقبل شيئاً بينما هو يعرف كل شيء، فمن الأفضل لنا أن يمنع عنا الشيء الذى طلبناه. لاحظ أن الرسول يوحنا قال: وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. ولذلك يجب أن نصحح أسلوب صلواتنا "لتكن مشيئتك" "لتكن إرادتك". إن يوحنا لا يقول: وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه يستجيب لصلواتنا، ولكن يستجيب صلواتنا بحسب مشيئته. لذلك فإن ثقتنا فى استجابة الصلاة تتناسب مع مدى ثقتنا إن كانت طلباتنا بحسب مشيئته أم لا. لذلك إن كنا غير متأكدين من أن طلباتنا حسب مشيئته فيجب أن نقول "إن كانت هذه هى إرادتك" ولقد كان هذا هو أسلوب يسوع ففى صلاته فى بستان جثسيمانى طلب أن تعبر عنه الكأس ولكنه أضاف بعد ذلك قائلاً: "ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك" (لو٢٢: ٤٢). أن تطلب مشيئة الله فهذا تعبير عن الخضوع والاتضاع أمام الله. ونتيجة لمعرفتنا وثقتنا بأن الله يعرف المستقبل أفضل منا وأننا نريد مشيئته أكثر من تسديد احتياجاتنا. هناك من يريدون أن يغيروا مشيئة الله بصلواتهم وهذا جهل منهم، لأنه آب محب، وإرادته صالحة ومرضية وكاملة. ولذلك فكل ابن عاقل يطلب أن يختبر هذه الإرادة لا أن يغيرها. لقد تضرع بولس إلى الله لكى يرفع منه شوكة الجسد ويشفيه ولكن

الله لم يرفع الشوكة وأجاب على طلبه قائلاً : "تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل" (٢كو١٢:٢٩) ،فكان رد بولس: " فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل على قوة المسيح . . .لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى"(٢كو١٢:٩ و١٠) لقد كان بولس يريد الشفاء ولكنه فى نفس الوقت كان يريد أكثر أن نتمم إرادة الله فى حياتنا.

إن كنا نريد استجابة لصلواتنا علينا أن نصلى بحسب مشيئة الرب. ويكون السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: كيف نعرف الأشياء التى بحسب مشيئة الرب؟. لذلك ربما يكون من الأفضل أن نقرأ بعض صلوات وردت فى الكتاب المقدس لنعرف كيف كان رجال الله العظماء يصلون. عندما نقرأ صلوات بولس فى رسائله مثلاً سنجد أنه يصلى إلى أهل أفسس طالبا الآتى:

أن يمتلئوا من روح الحكمة فى معرفته، وأن يدركوا رجاء دعوتهم، وأن يتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن، وأن يحل المسيح بالإيمان فى قلوبهم، وأن يتأصلوا فى المحبة، حتى يستطيعوا أن يدركوا مع جميع القديسين محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى يمتلئوا إلى كل ملء الله. ويصلى إلى أهل فيلبى طالباً لهم:

أن تزداد محبتهم أكثر فأكثرفى المعرفة وفى كل فهم حتى يميزوا الأمور المتخالفة لكى يكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح.

وفى رسالته إلى أهل كولوسى يصلى من أجلهم طالباً:

أن يمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى، وليسلكوا كما

يحق للرب في كل رضى، مثمرين في كل عمل ونامين في معرفة الله.

وفي رسالته إلى أهل تسالونيكي نراه يطلب لهم:

أن تزداد محبتهم بعضهم لبعض ولكل الناس، وأن يتأصلوا في القداسة ليوم المسيح، وأن يعزى الرب قلوبهم، ويساعدهم على كل عمل صالح.

وفي رسالته إلى فليمون يصلي له ويطلب له ما يأتي:

أن تكون شركة إيمانه فعالة في كل معرفة الصلاح.

فهل هذه هي الأمور التي نصلي من أجلها ؟ ولما لا ؟

إننا كثيراً ما نصلي من أجل أمور غير صحيحة، فيكون ما يريده يختلف تماما عما يريده الله، وتنحرف صلواتنا بعيداً عن مشيئته فلا نجد استجابة. علينا أن ندرك أن صلواتنا لا يمكن أن تُستَجاب إلا إذا كانت تتفق مع إرادته.

هنا يواجهنا اعتراضان وهما :

الاعتراض الأول :

يمكن أن يقال إن وعد يسوع الأصلي لا يوجد به هذه الشروط الكثيرة القاتلة لنا والتي لا تجعل الوعد قابلاً للتنفيذ. فهناك فرق شاسع بين أن يُقال : "مهما سألتم باسمي فإني أفعله وأن يقال ؛ مهما سألتم باسمي بشرط أن لا تكون هناك خطية في حياتكم، وأن تكون دوافعكم نقية، ولديكم إيمان، وتصلون بحماس، وتواظبون علي الطلب، وفوق الكل أن تكون طلباتكم وفق إرادة الله فإني أستجيب. " ورغم وجاهة هذا الاعترض إلا أنه لا يقف أمامنا. لأن كلمة الله تؤكد لنا أن يسوع عندما قدم الوعد الأصلي كان يفترض مسبقاً وجود

مؤهلات تحقيق الوعد التى ذكرناها سابقاً وأنها تنطبق على الشخص الذى يصلى، والدليل هو أن معظم هذه الشروط ذكرها يسوع فى تعاليمه فى مناسبات مختلفة وفى أماكن متفرقة من كلمة الله كما رأينا.

ولكى تتضح لنا هذه الفكرة نجد يوحنا مثلاً فى (١يو٥:١٤) جعل شرط تحقيق الوعد أن تكون الصلاة بحسب مشيئة الله، ونراه فى فترة سابقة لهذا الكلام تحدث عن شرط آخر لكى تُستجاب الصلاة كما فعل يسوع "أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه" (١يو٣:٢١ و٢٢). وهنا نرى أن يوحنا يقول إنه إذا كانت حياتنا مرضية أمامه فإننا ننال ما نطلب. وفى (٥:١٤) يلغى الشرط المذكور فى (٣:٢١و٢٢). فالكل يعلم إنها تعاليم مكملة لبعض فلماذا نظن العكس فى تعاليم يسوع.

إن الله أعطانا كل ما نطلب فهذا يجعلنا نبقى أطفالاً غير ناضجين. فالله يسمح فى بعض الأحيان بالمحن والضيقات وذلك لننضج وننمو فى الإيمان. إلى جانب آخر أعتقد أن يوحنا عندما تحدث عن أن شرط استجابة الصلاة أن تكون بحسب مشيئة الرب، كان يكتب على أساس أن من يطلب يحفظ وصاياه ويسعى للتشبه به وبذلك تتطابق إرادته مع إرادة المسيح ولذلك لنا الثقة أنه مهما سألنا نأخذ. ولذلك إن أفضل صلاة يصليها المسيحى هى كما صلى المسيح "لتكن لا إرادتى بل إرادتك".

الاعتراض الثاني:

هوأننا عندما نقول إن وعد يسوع باستجابة الصلاة صادق بشرط أن تكون

الصلاة"بحسب مشيئته" ، يقولون: من قال إن وعده صادق؟ فهذا مبرر حتى إذا صلينا وطلبنا من أجل أمر ما ولم نجد استجابة تقولون "لأنه لم يكن بحسب إرادته " فهذا مجرد تبرير لوعد مزيف. ولكن هذا الاعتراض يعبر عن عدم فهم وأصحابه يتساءلون فكيف نتأكد من أن إيماننا المسيحى حقيقى؟

إن ثقتنا فى الحق المسيحى بصفة عامة ووعود يسوع بصفة خاصة لا تتأسس على برهان استجابة الصلاة. إن ثقتنا فى صحة إيماننا تتأسس على شهادة الروح القدس وتتأكد بالمنطق. والصلاة عبارة عن ركن من أركان الحياة الإيمانية وليست للدفاع عن الإيمان. والحياة المسيحية هى أن نعيش بالإيمان ولا تتعلق بحتمية استجابة الصلاة.

إن الحقيقة الهامة هى أن المسيحية هى ديانة حقيقية، ولو كانت هناك احتمالات لغيرهذا لما أصبحنا مسيحيين، ونحن نصلى ونضع ثقتنا فى وعد الله. ولذلك فهذا الاعتراض مؤسس على عدم فهم.

والآن بعد أن أجبنا على هذين الاعتراضين الخاصين بمفهوم الصلاة. وبعد أن أوضحنا مدى ارتباط الصلاة بمشيئة الله يبقى هناك خطر حقيقى وأنا اختبرته ألا وهو الخجل والاستحياء فى الصلاة. فربما تقول أنت لأنى غير متأكد من إرادة الله فى هذا الموقف فكيف أصلى؟

وماذا أطلب؟ إننى أخاف أن أطلب شيئاً من الله ويكون خارج إرادته. فمثلاً عندما يكون أحد أصدقائنا مريضاً فهل نصلى لكى يشفيه الله، أم لكى يسنده ويشجعه فى مرضه؟ وهل أصلى من أجل فرصة عمل أفضل أم أن يعمق الله اتجاه القناعة فىّ؟وإذا دخل أحد أصدقائنا فى محنة فهل نصلى من أجل

نجاته أم من أجل ثباته فى الإيمان؟ من الممكن أن نخاف من أجل عدم فهمنا لإرادة الله ولذلك نكف عن الصلاة، وهذا بالتأكيد ضد إرادة الله فماذا نفعل؟ وما هو الحل؟.

شكراً لله هذا هو دور الروح القدس الذى يحل لنا هذه المشكلة، ولقد صاغ بولس حل هذه المشكلة فى رسالته إلى أهل رومية قائلاً:"وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها. ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين(رو٨:٢٦،٢٧). ربما لا نعلم ما نصلى لأجله، ولكن الروح القدس يأخذ صلواتنا ويترجمها لتكون حسب مشيئة الله أمام عرش النعمة. ومن خلال هذا الشفيع الإلهى يمكننا أن نصلى بشجاعة بالرغم من محدودية معرفتنا واثقين أن الروح القدس هو شفيعنا بحسب مشيئة الله.

ولذلك كن شجاعاً فى صلواتك وضع أمامه كل احتياجاتك مستخدماً حكمتك وفطنتك الروحية، فإن هذا ما كان يفعله بولس، لقد تجرأ وطلب من الله أن يشفيه. وكان دائماً يطلب من الكنائس أن تصلى من أجله لينُقذ من الاضطهادات.وفى النهاية كانت مشيئة الله مختلفة بالنسبة لبولس. لذلك صلِّ بحسب ما يعطيك الرب من حكمة وضع رغبات قلبك أمامه وثق أن الروح القدس يشفع لنا بحسب مشيئة الله.

وفي الختام أعتقد أنه أصبح واضحاً مدى التأثير الإيجابى لهذه المناقشة على حياتنا. فبالرغم من أن الناس تشكو عدم استجابة الصلاة حتى أصبحت

مشكلة، إلا أنه أصبح واضحاً من دراستنا لوعد يسوع أن عدم استجابة الصلاة هو استثناء وليس القاعدة فى حياة المؤمن. فالمسيحى الذى يعيش فى المسيح يجب أن تكون الصلوات المستجابة هى اختباره المتدرج.

والآن ما هى أخبار الصلاة فى حياتك؟ هل أنت مشوش فى حياتك المسيحية وتشعر أن صلاتك بلا جدوى؟ متى كان آخر وقت حرّكت فيه صلاتك يد الله؟

إذا لم تكن حياتك حياة الصلاة فربما يكون هذا هو الوقت المناسب لتفحص نفسك وتعرف ما هى معوقات استجابة الصلاة فى حياتك؟ . هل هناك خطية مكتومة؟ هل هناك جزء غيرنقى فى حياتك بعيداً عن الله؟ ما هو الجزء الداخلى من قلبك والذى لم يُسلِّم بالكامل للمسيح ويخضع لسلطانه؟ هل تصلى فقط من أجل احتياجاتك الذاتية والعاطفية أم تطلب أولاً مجد الله؟ هل تؤمن بأن الله يستجيب صلواتك؟ هل أنت مهتم فعلاً بالاستجابة أم لا؟ هل تتقدم إلى عرش النعمة بقوة وبرغبة واثقاً فى محبته لك؟هل تطلب مرة وتنسى ما طلبت لأجله، أم تطلب مرة بعد الأخرى دون كلل؟ هل تصارع مع الله قائلاً مع يعقوب (لا أطلقك إن لم تباركنى) (تك٣٢:٢٦).

هل تصلى لأن هذا هو المفترض من كل مسيحى أن يصلى، أم أنك تقصد شيئاً معيناً من الله؟ إذا كنت ذلك دعنى أقدم لك بعض الاقتراحات:

اجلس بمفردك بعض الوقت اليوم أو غدا ، وافحص نفسك بصدق لتعرف ما هى معوقات الصلاة فى حياتك؟ ثم اعلن توبتك فى محضر الله واطلب منه الغفران لتبدأ من جديد.

ثم اعمل قائمة بعد ذلك للأشياء والأشخاص الذين تريد أن تصلى من

أجلهم في كل يوم من أيام الأسبوع، ثم اجلس على انفراد يومياً من أجل هذه القائمة. كن محدداً وضع علامة حمراء على طلبة استُجيبت، وعندما ترى الله يعمل سيزداد إيمانك وتتعلم الثقة فيه أكبر.

وإذا كنت تعيش من قبل حياة الصلاة ولكن لديك بعض المشاكل من خلال صلوات غير مستجابة، فأنت إذاً تحتاج أن تثق في إرادة الله الصالحة والمرضية والكاملة والتي تعكس معرفته بكل شيء. فحتى وإن كنت تطلب خبزاً فيعطيك حجراً(مت ٧:٩) أو سمكة فيعطيك حية(لو١١:١٢). فلتدرك أنه يعطيك بحسب إرادته الصالحة، وأن هذا لخيرك.

ربما تنال ما تصلي من أجله دائماً، فلتدرك أن الله يعلم الأفضل لحياتك ولمستقبلك، وربما يريد أن يعلمك أن ما تحتاج إليه أولاً هو ملكوته. فدرِّب نفسك على الثقة فيه وفي محبته.

إن الصلاة عمل شاق وممتع، ووعود الله لنا عظيمة، لذلك دعنا نثابر في الصلاة ممسكين بهذه الوعود.

الفصل الثالث

الفشل

استمعت لأكثر من ألف ومائتين عظة فى غضون عشرين عاماً، ثلاث مئة عظة منها في كنيسة كلية وايتن وعدداً لا يحصى فى اجتماعات أخرى، سواء فى مؤتمرات أو خلوات منها ما عُقِد من خلال «الكامبس كروسيد» أو جماعات أخرى. ولكننى طوال هذه الفترة الطويلة والتى تزيد عن عشرين سنة، حضرت فيها مئات الاجتماعات لم أستمع ولا عظة واحدة عن الفشل. وفي الحقيقة لم يكن ممكناً لى أن أتحدث فى هذا الموضوع بجدية لو لم أكن قد اختبرته، وهذا ما قادنى لأقدم المشكلة بطريقة شخصية.

إن ندرة المتكلمين المسيحيين عن هذا الموضوع ليس لعدم أهميته، وأى مؤمن قد واجه الفشل فى وقت ما من حياته يعرف كيف أن خبرة الفشل مدمرة،ويجد نفسه أمام هذه الأسئلة: أين الله؟ لماذا يسمح الله بهذا؟ هل أنا خارج إرادته؟ ماذا أفعل الآن؟ هل الله موجود فعلاً ويهتم بى؟ وهذه الأسئلة تعذب الإنسان، فما هو معنى الفشل بالنسبة للمؤمن؟

فى بداية حديثى عن الفشل أرى أننا نحتاج أن نميز بين نوعين من الفشل: الفشل فى الحياة المسيحية، والفشل فى حياة المسيحى. وأقصد بالفشل فى الحياة المسيحية، هوالفشل فى علاقة المؤمن ومسيرته مع الله. فمثلاً قد يختبر المؤمن من الإحباط والفشل بسبب رفض الاهتمام بدعوة الله له لشىء معين، أو الاستسلام للتجربة، أو من خلال الارتباط بغير مؤمنة. والفشل هنا هو بسبب الخطية. إنها مشكلة روحية، حالة من الفشل الأخلاقى والروحى.

وعلى العكس من ذلك فإن الفشل فى حياة المسيحى لا يتعلق بأسباب

روحية، فهو ليس بسبب خطية فى حياة المؤمن، ولكنها بعض المشكلات التي تحدث فى حياة المسيحى يوماً بعد الآخر فى خبرته اليومية. فمثلاً قد يصاب رجل أعمال مؤمن بإفلاس، أو قد تتحطم أحلام رياضى مؤمن عندما يفشل فى تكوين فريق كبير. وربما لا يوفّق طالب مؤمن فى الامتحان رغم بذل مجهوده الكبير ليحصل على النجاح، وربما يفشل عامل مسيحى فى عمله فيجد نفسه بلا عمل وغير قادر على إيجاد وظيفة. إن هذه الحالات ليست فى علاقة الإنسان مع الله، ولكنها نماذج للفشل في الحياة العادية. وقد تحدث وتظهر فى حياة أى مسيحى.

فى كتابه الأكثر مبيعاً "الفشل:الباب الخلفى للنجاح" "Failure:The Back Door To Success" للكاتب إرون ليتزر(Erwin Lutzer) تحدث عن هذين النوعين من الفشل، وهذا ما ساحاول أن أفعله هنا. لقد نسب فى الحياة المسيحية إلى شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة.أما الفشل فى حياة المسيحى فهو لا يتعلق بهذه العوامل فهو جزء من الحياة. ولم يجد ليتزر مشكلة خاصة بالنسبة للنوع الثانى من الفشل، ولكنه وجد فى النوع الأول من الفشل صعوبة كبيرة لقد كتب قائلاً:

ما الذى يسبب الفشل؟ما الذى يجعل الإنسان يصل لقرب النهاية ويقبل أن يعيش حياته فى عبث أو تضيع حياته سدى؟ وما الذى يدفع الإنسان للانتحار هل لأنه غير موهوب مثل الآخرين ؟ ما الذى يجعل الإنسان يعرض شهادته المسيحية للخطر ويدخل فى علاقة غير شرعية مع زوجة قريبه؟ الإجابة هى: الخطية وبصفة خاصة الأنانية والطمع والشهوة الجسدية.

بالطبع هناك أنواع من الفشل لا علاقة لها بالمرة بالخطية : طالب يفشل فى دراسته، شخص يستثمر أمواله استثماراً أحمق، كثير من الناس يفشلون فى وظائفهم، أو يفشلون فى تحقيق بعض أهدافهم. نحن لا يجب أن نقلل من خطورة هذا النوع من الفشل ،ولكنه في نهاية المطاف ليس بخطورة الفشل الروحى.

لقد اهتم ليتزر " Lutzer" فى كتابه عن الفشل فى الحياة المسيحية، بالنوع الأول من الفشل لأنه اعتقد أن هذا النوع من الفشل له نتائج أخطرمن النوع الثانى. هذا صحيح من جانب ،فهناك كثير من الفشل بسبب الخطية، إلى جانب أن الفشل فى الحياة المسيحية يقطع الشركة مع الله ويترتب على ذلك نتائج أبدية. ونحتاج أن نعترف بهذا الشكل من الفشل أمام الله، ونحتاج أن نحاسب ونحاكم على هذا. لأن النتيجة النهائية هى أن الفشل في الحياة المسيحية أشد خطورة من الفشل العادى الذى يحدث لنا ويظهر فى حياتنا .

فى الجانب الآخر نجد أنه في حياتنا اليومية فى العالم ليس دائماً صحيحاً أن تأثير النوع الأول من الفشل أكثر خطورة من النوع الثانى، فالفشل فى حياة المسيحى يمكن أن يكون أكثر تدميراً من الفشل الذى يأتى نتيجة الخطية.

ولا توجد صعوبة محدودة لفهم الفشل فى الحياه المسيحية،فبالطبع الخطية تقود إلى الفشل! فما الذى يمكن أن نتوقعه؟

والحل لهذه المشكلة ليس صعوبة فهم الاعتراف أو التوبة أو الإيمان أوالطاعة ولذلك أنا لا أجد حيرة فى الفشل فى الحياة المسيحية خاصة عندما أتأمل فى جسدى الضعيف، فلا شىء يدعو للتعجب فنحن نخطىء فنفشل.

ولكن النوع الثانى من الفشل يحيرني، فعندما نجد شخصاً ما فى الإيمان وطاعة الرب كيف يسمح الله أن يسقط فى بالوعة الفشل؟ أفكر فى هذا ؟ هل الطاعة لمشيئة الله. يمكن أن تقود إلى الفشل؟ هذا فعلاً شيء محير، لذلك أنا أريد أن نركز اهتمامنا على النوع الثانى من الفشل لنري هل يمكن أن نفهم لماذا يحدث هذا ؟

منذ عدة سنين وأنا مقتنع بوجهة النظر التى تقول إن المسيحى الذى يعيش فى إطار مشيئة الله لا يمكن أن يفشل. ربما كنت ساذجاً فى تفكيرى هذا، ولكننّى الآن لا أعتقد فى ذلك.

ولقد أعطيت هذا الموضوع وقتاً من التفكير الجاد وحددت موقفى فى عدة نقاط هامة .فمثلاً لقد فصلت بين الفشل والاضطهاد، فكلمة الله واضحة فى هذا الأمر،فالذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون، ولقد طوّب الرب يسوع المضطهدين والمطرودين من أجل البر. وهناك مسيحيون استشهدوا فى سبيل إيمانهم، وهناك من فقدوا وظائفهم، وهناك من ظُلموا ولم يعاملوا بعدل من رؤسائهم لأنهم مسيحيون، ولا يليق أن نقول إن هذا هو الفشل.

ولقد ميزت بين الفشل والتجارب. فكلمة الله واضحة فى ذلك، فنحن كمسيحيين لا يمكن أن نُعفى من التجارب، فهى اختبارات تجعلنا ناضجين وتدربنا على الاحتمال. فبدون التجارب سنظل مثل الأطفال المدللين، ولكنى أؤمن أننا إذا احتملنا التجربة فى اتكال على قوة الله فسيرانا فى أثناء التجربة ويعطينا الغلبة وينقلنا لبر الأمان. ولكن الأمر الذى لا أستطيع أن

أعقله أساساً هو أن نقول إن الله يدعو شخصاً ما لعمل شيء ما ،وعندما يطيع هذا الشخص الدعوة ويعتمد على قوة الله يسمح الله له بالفشل. وفى الحقيقة هناك دليل كتابى للموقف الذى يحيرنى هذا ، انظر مثلاً فى(مز١ : ١-٣) إذ يقول النبى داود:

"طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس،لكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح".

أليس واضحاً هنا قوله "وكل ما يصنعه ينجح؟" ولكننى عندما اختبرت الفشل فى حياتى الشخصية دفعنى هذا لإعادة التفكيرفى هذه الفقرة بالكامل. لم يكن يخطر ببالنا عندما كنا جان وأنا نعيش فى ألمانيا الغربية وانتهيت من إعداد رسالة الدكتوراه فى اللاهوت من جامعة ميونخ "Munich" تحت إشراف "ولفهارت باننبرج". وكان بحثى شبه موافق عليه، ولكن كل شيء بقى لحين الانتهاء من الامتحان الشفوى فى اللاهوت، وبدون معرفة المتوقع حاولت تكراراً أن أحصل على ميعاد من د.باننبرج لمعرفة أسلوب الامتحان وكيف أُعد لذلك، ولكنى لم أنجح فى لقائه،إن الأساتذة الألمان يميلون إلى الاعتزال «أكثر من نظرائهم الأمريكان» لذلك ذهبت إلى الأستاذ المساعد وهو لاهوتى صغير ولكنه متألق،وقد حصل علي الدكتوراه تحت إشراف الدكتور باننبرج.

وقد رفض الاستعداد للامتحان وقال" انس هذا".ولم أكن ذلك الغبى، ولكنى سألته مرة أخرى عن كيفية الاستعداد للامتحان فأجاب: إن د.باننبرج

يسأل دائماً فى مقرراته " فيما كتب " فأقرأ فقط ما كتب. وهذا أصبح أفضل بالنسبة لى، وفى خلال الأسابيع السابقة للامتحان قرأت ودرست بجدية كل ما كتب د.باننبرج وشعرت بالثقة وأننى قد امتلكت كل أفكاره.

وفي يوم الامتحان دخلت مكتب د.باننبرج وكان سيقدم الامتحان بنفسه وفى حضور عميد الكلية وأستاذ آخر فى اللاهوت، وقدمت التحية لكل الحاضرين ثم جلست لبدء الأسئلة.

وحالاً وجدت أن معظم الأمور بدأت خطأ، فلقد بدأ د.باننبرج يسأل أسئلة فى مواضيع لم يناقشها في كتاباته. لقد بدأ يسأل عن وجهة النظر اللاهوتية الخاصة لهذا اللاهوتى أو ذلك، وأنا لم أستطع أن أجاوب الأسئلة سؤالاً بعد الآخر، وأنا أعترف بعدم معرفتى. ولا أستطيع أن أصف لكم إحساس الخوف والإحباط الذى أصابني.وسؤال بعد الآخر وأنا أشعر بأننى سأفقد درجة الدكتوراه، وأصبحت كمن يحاول إمساك حفنة رمال ولكنها تتساقط من بين أصابعه، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً لإيقاف هذا الأمر، واستمر هذا العذاب ما يقرب من ساعة، وقرب نهاية ساعة الامتحان ولكى يكون فشلى مسجلاً بجدارة أمام الكل سأل د.باننبرج سؤالين سهلين لكي ينزل إلى مستواى من المعرفة وكان هذا إذلالاً كاملاً لى.

وتركت قسم اللاهوت محطماً لمقابلة جان (Jan) لنخرج للعشاء فى أحد المطاعم، والذى كنا قد خططنا معاً لنحتفل فيه. وجاءت بسرعة نحوى وهى مبتسمة وتنظر إلىّ وفى عينيها ترقب فقلت لها: لقد فشلت. ولم تصدق هذا الكلام، وعلى كل حال ذهبنا للعشاء ولكنها كانت ليلة حزينة، وكان هذا قبل

الاحتفال بعيد الميلاد بالضبط . وكنا قد خططنا أنه في يوم ٢٣ ديسمبر نذهب إلى الولايات المتحدة لنزور عائلتى وأبدأ التدريس فى مدرسة اللاهوت فى دارفيلد- الينوى فى أول السنة الجديدة. "Trinity Evangelical Divinity School In Deerfield,Illinois".

والآن نعود للمنزل بإحباط شديد فالخسارة تتضاعف. وفى رجوعنا السريع إلى "لوفزانسنا"(Lufthansa) فقدنا الآله الكاتبة (IBM) وسُرِقت شنطة اليد التى لجان وبها ممتلكاتى الشخصية القيمة، نسيت أيضاً نظارتى، وكل هذه الأشياء التى فقدتها لا تقارن بمقدار الاضطراب الداخلى والإحباط الذى أصابنى لعدم نوالى درجة الكتوراه، ولم أستطع أن أفهم لماذا سمح الله لى بحدوث هذا ؟

لقد دعانا الله لنذهب إلى ألمانيا، وبطريقة معجزية سدد مصاريف الدراسة، ونحن نسير فى خطته وأنا متأكد من ذلك ولم أكن مهملاً أو قليل الثقة، ولقد حاولت مراراً أن أتقابل مع د. بانبرج مقدماً " قبل الامتحان"، ولكنه كان مشغولاً جداً. وقد أعددت نفسى بأفضل طريقة كما عرفت من مساعده، وصليت صلوات حارة وبثقة من أجل هذا الامتحان، وكان هناك آخرون من المؤمنين الأتقياء يصلون من أجل هذا الامتحان أيضاً. وقد كان الامتحان سهلاً ولا أستطيع أن أنكر هذا، ولكنى فشلت فيه.

هذا هو كل ما حدث فكيف يسمح الله بهذا ؟ وأين وعوده ؟ "وكل ما يصنعه ينجح" "مهما سألتم باسمى فإنى أفعله". . . ؟؟

ولم يكن هذا الفشل مجرد فشل فى الامتحان ولكنه كان أكثر من ذلك، لقد سبب لى مشكلة روحية، لقد شعرت بالأذى والخزى بل وأكثر من ذلك لقد

شعرت بتخلى الله عنى فكيف أثق فيه مرة أخرى؟

وقد تأثرت فى الأيام التالية بهذه الأحاسيس، وأصبح واضحاً بالنسبة لى أن"مز١:١-٣" لا يمكن أن يفسر على أنه وعد على كل الحالات والظروف، فالمؤمنون لا ينجحون فى كل أمور حياتهم، بل يفشلون فى بعض الأحيان. والآن ربما يقول لى شخص ما : "أنت لا تستطيع أن تبطل كلمة الله بسبب خبرتك الشخصية، صحيح أن وعوده لم تتحقق فى حياتك ولكنها صادقة". ولكن المشكلة فى هذه الإجابة هى أن كلمة الله نفسها تعطينا أمثلة لمثل هذا الفشل الذى حدث معى. فمثلاً لقد وعد الله بأن يعطى أرض كنعان للاثنى عشر سبطاً الإسرائيليين ، ولكن فى "قض١:١٩" نقرأ " وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادى لأن لهم مركبات حديد. "تأمل فيما يقال هنا (وكان الرب مع يهوذا)، ولكن بالرغم من هذه الحقيقة " ملكوا الجبل" ولكن فشلوا فى طرد سكان الوادى لأنهم يملكون مركبات حديد! وهنا نرى التناقض، فبالرغم من أن الله معهم ولكنهم فشلوا. فكيف نفهم أن يكون هناك فشل مثل هذا فى حياة المؤمن؟

وربما يجيب بعض الناس عن هذا السؤال بأن الله ليست له إرادة خاصة لحياتنا، وأن إرادة الله هى عامة وعلينا أن نطيع وصاياه الأخلاقية والروحية حتى نصل لشبه المسيح،

ولكن ليس لله إرادة خاصة لكل فرد على حدة تحوى مثلاً الحصول على الدكتوراه، أو الزواج من شخص معين، أو الالتحاق بوظيفة معينة، لذلك عندما نجتاز فى هذه الأمور يجب أن نعتمد كلية على أنفسنا وربما نجتاز فى

خبرة الفشل.

ولكن هذه الإجابة تهزنى لأنها غير كافية بالرغم من أنها يمكن أن تُقنع الكثير من الناس. فهى أولاً تتضمن فكرة ناقصة ومبتورة عن سلطان الله وعنايته وإرشاده. فبالرغم من أن الكتاب المقدس ينادى بحرية الإنسان، هناك أيضاً تركيز شديد على سيادة الله وسلطانه على كل الأحداث التى تحدث وتدبيره المباشر لها، فلا شيء يحدث في العالم بعيداً عن إرادته، وحتى فى الأحداث المؤلمة فهو يسمح بها. فضلاً عن ذلك فإن الله له تدبير محكم للعالم وهو يقود التاريخ إلى نهاية محدودة ومن خلال ما سننجزه نحن، لذلك فإن قراراتنا لا يمكن أن يكون هو غير مبال بها، إلي جانب أنه وعدنا بأنه سيكون مرشداً لنا فيما نقرر، وكل هذا يدل على أن الله مهتم خاصة لحياتنا. وحتى عندما نترك هذه النقطة جانباً فسنجد أن هذه الإجابة لا تصل إلى قلب المشكلة ولا تقدم لنا حلاً، لأنه حتى لو لم تكن لله إرادة خاصة لحياتنا فستظل الحقيقة قائمة أنه وعد بأن يكون معنا ويقودنا فلماذا نفشل؟

وها هو المثال المحير جداً الذى اقتبسناه من سفر القضاة أمامنا، إن الرب معهم وبالرغم من ذلك فشلوا، ولذلك حتى لو لم تكن إرادة الله خاصة لحياتنا فهذا لا يفسر لنا كيف نفشل فى بعض الأمور التى نقرر أن نقوم بها بالرغم من أنه قد وعدنا بالنجاح؟

لقد تغيرت نظرتى لإرادة الله، وسأروى لكم ما حدث لى بالكامل، ونظرتى الجديدة لإرادة الله. فلقد أدركت أن إرادة الله يمكن أن تحوى الفشل، أو بكلمات أخرى قد يكون فشلك ضمن خطة الله لحياتك . فهناك أمور يريد الله

أن يعلمك إياها من خلال الفشل لا يستطيع أن يعلمك إياها من خلال النجاح. فمثلاً في حالتي رأيت أن فشلي في الحصول على درجة الدكتوراه قادني لأرتب أولويات حياتي بنظرة جديدة. فعندما رجعنا إلى عائلتنا في عيد الميلاد حاولت تخفيف خبر فشلي في الحصول على الدكتوراه على والدي وقلت له: إنني فشلت في الامتحان الشفوي ولم أحصل على الدرجة. ولدهشتي ردت عليّ والدتي بجواب مفحم: "وما المشكلة". وصعقت ! لقد كان هذا الأمر بالنسبة لي بمثابة كارثة العمر، فكيف تهز كتفيها بلا مبالاة كأن لم يكن شيئ. لقد كنت أظن أنه لا يوجد في الدنيا أهم من الحصول على الدرجات العلمية والكتابة والسمعة الأكاديمية، ثم يأتي في نهاية القائمة العلاقات الإنسانية وخاصة العلاقات العائلية.

لقد رجعت بذاكرتي إلى أحد أساتذتي الكبار وهو عالم في تخصصه كنت قد قابلته في ألمانيا، وكان قد طلق زوجته منذ عده سنوات، ولكنه عزم بكل قلبه على الرجوع إليها وإلى ابنه الصغير، وقد قال لنا عن نفسه: أثناء زواجي الأول كنت أقضي كل وقتي في المعمل، لم أكن أفكر في أي شيء آخر، ولا أي شخص آخر، وكل ما كنت أفكر فيه هو أبحاثي ودراساتي. كنت في وقتها أظن أن هذا هو أهم شئ في الحياة، ولكن الآن أدركت أنه ليس كذلك، وأضاف: "لقد كنت غبياً". وأنا اليوم أدركت ذلك من جديد، لقد بدأت أنظر نظرة جديدة إلى البركات التي أتمتع بها مع زوجة أمينة ضحت من أجلي وتعبت معي طوال كل السنوات الدراسية، ووالدين محبين قبلوني بلا شروط لمجرد عودتي إليهم. وفي هذا العيد بدأت علاقة جديدة مع أسرتي، لقد ذهبت أنا وجان واقتربنا منهم ليس كوالدين بل كأصدقاء.

وكما ترى لقد فشلت لأفهم معنى النجاح الحقيقى. والنجاح ليس فى الوصول إلى الثروة أو القوة أو الشهرة. النجاح الحقيقى يمكن فى المجال الروحى ولكى أكون أكثر تحديداً يكمن فى معرفة الله جيداً.

لقد شرح "ج.م.باكر"(J. I. Packer) هذه الفكرة بإيجاز في كتابه معرفة الله قائلاً:

لقد وصلنا إلي النقطة التى فيها يجب أن نحدد أولويات حياتنا بدقة. من تيار النشر المسيحى فى عالم اليوم تستطيع أن تجد أن معظم الإصدارات الهامة تتحدث عن وحدة الكنيسة، أو الخدمة الاجتماعية أو دحض هذه النظرية أو تلك ، أو تطوير الثقافة المسيحية،أو الحوار بين المذاهب المختلفة. ولكن خطنا فى هذه الدراسة يدفعنا لأن نقول إن التركيز علي هذه الدراسات فقط،يقود إلى التوجه الخاطىء. لذلك يجب أن نضع هذه الإصدارات فى مكانها الحقيقى، وستبقى دائماً الأولوية لكل كائن حى أن يعرف الله فى المسيح.

عندما قرأت هذه العبارة هزتنى من الأعماق "دحض هذه النظرية أوتلك ، أو تطوير ونشر الثقافة المسيحية"، فهذا هو نفس أسلوب الحياة الذى كنت أعيشه، وليس هذا هو أهم شيء فى الحياة، فربما ينجح الواحد منا فى هذا ولكنه يبقى فاشلاً فى نظر الله.وتحضرنى فكرة قالها ليتزر"كراع مشغول ربما تكون حقيقتك أقل بكثير مما تظن فى نفسك". ربما نقوم بأعمال كثيرة من أجل الرب ولكن نبقى فاشلين فى ذلك النوع من الأعمال التى لا يتمناها الرب لنا. إن الشيء الذى يخيفنى فى الحقيقة هو أننى يوماً ما سأقف أمام الله، وربما أرى كل أعمالى تتبخر أمامى كدخان مثل الخشب أو بقايا أعواد الحنطة.

وماذا يبقى بعد ذلك؟ألم يقل المسيح "الأولون آخرون، والآخرون أولون". إن النجاح فى نظر العالم لا يعتبر نجاحاً نهائياً ولا هو قمة النجاح، إنما النجاح الحقيقى هو النجاح فى نظر الله.

ولا شك فى أن هذا المفهوم يشجعنا ويديننا. فى الجانب الأول يشجعنا لأنه حتى إذا فشلنا فربما يكون هذا الفشل هو أفضل طريق للنجاح فى نظرالله. فأنا أشعر فى داخلى بأن الله لا يهتم كثيراً بالكم الذى نقوم به من أعمال ولكن بالكيف. لذلك ربما نفشل فى أحد الأعمال التى نقوم بها..، ولكن إذا تجاوبنا مع الفشل بإيمان وثقة واتكال على قوة الله ولا نعطى اليأس أو الإحباط أو الشعور بالمرارة مكاناً فقد نحسَب ناجحين فى نظر الله.

وفى الجانب الآخر فإن هذا التفكير يديننا فربما نظن أننا أنجزنا كثيراً ولكننا فى نظر الله فى حالة فشل. لقد أدرك الرسول بولس هذا الأمر وقد كان لاهوتياً بارعاً وموهوباً،قدم حياته بالكامل للوعظ بالإنجيل ولكنه كان يخشى أن تفتر محبته للرب، فبدون المحبة كل شىء بلا قيمة فى نظر الله، فالنجاح الحقيقى هو أن تحب الرب إلهك من كل قلبك وقريبك مثل نفسك. ولكن ما هو التطبيق العملى لكل هذا الكلام فى حياتنا ؟

أرى هنا نقطتين:

أولا:

إننا نحتاج أن نتعلم من فشلنا، ولذلك يجب أن نحلل فشلنا لنعرف الدرس الذى يمكن أن نتعلمه منه. وهذا لا يعنى أن نحاول أن نستخرج بالورقة والقلم لماذا سمح الله بهذا ؟

ففي حالات كثيرة سيكون من الصعب أن نعرف لماذا سمح الله بهذا الفشل. إن كثيرين من المسيحيين يسقطون فيما أسماه "باكر" "J.i.packer" "صندوق رصد الأخطاء" ففي مخزن القطارات في مدينة يورك "York" توجد غرفة تحكُّم بها لوحة الكترونية توضح بالضوء حالة كل قطارعلى كل رصيف،وأي شخص في برج التحكم هذا عندما يتطلع إلي اللوحة يستطيع أن يعرف لماذا يقف هذا القطار في هذا الموقع بالذات، ولماذا يدخل هذا القطار الآخر على التحويلة، ولماذا يتحرك هذا الجرار بسرعة، ولماذا يسير القطار الآخر ببطء شديد، إنه يستطيع تحديد حالة كل قطار. بينما يبدو لأي شخص عادي يسير في الشارع، أو يقف على المحطة أن حركة القطارات غامضة ولا تفسير لها.

يقول باكر إن المسيحي الذي يحاول أن يعرف لماذا سمح الله له بهذا الفشل أو ذلك في حياته يكون كمن يحاول أن يدخل غرفة التحكم الإلهية حيث اللوحة المعدنية وعليها حالة كل إنسان ولا يمكن لأي إنسان أن يقترب ويدخل هذه الغرفة ولذلك فمن الحماقة أن نعذب أنفسنا بالسؤال لماذا سمح الله لهذا الفشل أو ذاك أن يتسلل إلي حياتنا؟

ومع أننا لا نستطيع دائماً أن نفهم وندرك قصد العناية الإلهية للأحداث التي تمر بنا، الا أننا نتعلم من فشلنا. وكما يقول ليتنزر"ليس ضرورياً أن نعرف لماذا سمح الله بالكارثة لكي نستفيد منها".

ولكن درّب نفسك على تقييم الذات، وفكر فيما هو سبب فشلك،فكر في الأخطاء التي يمكن أن تتحاشاها في المستقبل، وفكر في رد الفعل الذي يريدك الله أن تتخذه، وما هي الصفات التي يمكن أن تطورها في نفسك.

ثانيا:

لا تستسلم، ولا تظن أنك فشلت أو انتهيت. ومن أفضل النماذج التى نذكرها هنا ذلك الرجل المثقف ريتشارد نيكسون(Richard Nixon). فلقد رشح نيكسون لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٦٠م أمام جون كيندي ولكنه انهزم. وعاد إلى بيته فى ولاية كاليفورنيا ليفشل مرة أخرى فى الحصول على منصب عمدة الولاية، ولكنه بدأ بهدوء يستعيد قواه، ويفكر فى أسباب هزيمته، وكيفية تلاشيها فى المستقبل، وفي عام ١٩٦٨م تغلب على منافسه هيبرت همفرى(Hubert humphrey) وفاز بالرئاسة وفى عام ١٩٧٢م تغلب أيضاً على منافسه جورج ماك جوفرن(George McGovern) وهزمه هزيمة ساحقة. وظل رئيساً إلى أن جاءت فضيحة ووترجت (watergate) وافتضح أمره ،ولم يستطع مواجهة الاتهامات التى وُجهت إليه، فقدم استقالته من الرئاسة.

وأتجاسر فأقول إنه ولا واحد كان يتوقع أن يسمع أى شيء عنه بعد ذلك.ولكن ما هى إلا سنوات قليلة وكان يحاضر فى جامعة أكسفورد ويناقش إصداراته عن الأمن العام والبوليس السرى. لقد استمر يعمل ويخطط ويفكر، وبعدها بسنين قليلة نشرت مجلة النيوزويك صورته فى الصفحة الأولى وإلى جوارها تجد عبارة مكتوبة بحروف صفراء كبيرة تقول "لقد عاد"، وتحكى قصة حياة نيكسون وتقول لقد عاد ليصبح كبير رجال الدولة، والذى تعتبر أفكاره عن البوليس السرى ونصائحه السياسية الذكية مطلوبة ومهمة جداً.

وعندما سؤل نيكسون فى جامعة أكسفورد عن سر عودته العجيب، قدم

نصيحة رائعة فقال:

"أنت لا تنتهي إذا فشلت مرة، ولكنك تنتهى إذا استسلمت فلا تستسلم لا...لا...لا ".

إنها لا شك نصيحة غالية، فأنت لا تنتهى إذا فشلت ولكنك ستنتهى فقط إذا استسلمت للفشل، ولذلك أقول لك لا تستسلم، بل استيقظ وتعلم منه وتقدم للأمام. وهذا ما فعلته أنا فى حياتى، وأنا أقول إن قصتى كانت نهايتها سعيدة. فالنظام في الجامعات الألمانية أنه إذا فشلت فى الامتحان الشفوى فى أول مرة يحق لك أن تدخل الامتحان مرة ثانية، وكنت أنا وجان نعرف ذلك، فبدأت أفكر فى دخول الامتحان مرة ثانية،وشجعنى بعض أصدقائى على ذلك. ولذلك بعد أن بدأت التدريس فى كلية لاهوت الثالوث(Trinity Seminary) قضيت سنة كاملة أُعد نفسي للامتحان مرة أخرى، فدرست تاريخ تطور العقيدة عند بليكان "Pelikan". ودرست كل كتب العقيدة التى كتبها هارناك(Harnack) وهى ثلاثة مجلدات كبيرة. ودرست تاريخ العقيدة المسيحية لـكونليف جونس(Cunliffe Jones).ومجلدين فى العقيدة لـ لوف "Loof" "كانا معدين لطلبة اللاهوت فى الجامعة الألمانية. كما درست كل وثائق المجامع المختلفة، وقوانين إيمان الكنيسة، ودراسات فى تاريخ آباء الكنيسة، ودراسات فى اللاهوت المقارن. وقرب نهاية العام كان عندى كومة كبيرة من المذكرات والمقالات والوثائق التى حفظتها بالكامل، وأعددت نفسى للإجابة على أى سؤال فى اللاهوت النظامى والكريستولوجى "Christology" والأنثروبولجى"Anthropology"ولاهوت الخلاص(Soteriology) إلى جانب أى سؤال آخر من أول الآباء المدافعين إلى

العصور الوسطى والإصلاح وعصر التنوير والقرن العشرين. وبالرغم من ذلك كنت مرتعباً لدرجة الموت.

وعندما كنت في طريقي إلى د. بننبرج كان كل شيء يبدو جميلاً أكثر من المرة الأولى. فلقد بدأ أسئلة فى عقيدة الثالوث وخاصة مفهوم الكلمة فى فكر الآباء المدافعين. وطوال الامتحان وأنا أشعر بسعادة غامرة، فلقد أجبت على كل الأسئلة التى قدمها لى بإجابات دقيقة وكاملة. والسؤال الوحيد الذى تعثرت فيه كان حول عقيدة هيجل فى التجسد الإلهى، ولكنى لم أشعر بالضيق لأننى لم أعرف هذا السؤال. وكانت السعادة أيضاً واضحة على وجه د. باننبرج وأعلن عن نجاحى وقرر لى الدرجة، فكنت أرقص فرحاً فى الهواء.

وفي النهاية أقول لقد تمجد الله فى حياتى، ليس من أجل امتياز النجاح فى الامتحان، وليس من أجل الدروس الروحية التى عملها الله لى من قبل، ولكن لأنى تعلمت حقائق عظيمة أيضاً. لقد كنت مثل الكثير من الطلبة الأمريكان ندرس بتذمر، فكما تعلمون أن الدراسة فى كليات اللاهوت فى ألمانيا أصعب بكثير منها فى أمريكا، لذلك تحتاج إلى مجهود كبير جداً.

لذلك لا تتعجب عندما تسمع أن اللاهوت الألمانى يقود العالم، وإذا كنا نأمل أن يكون للاهوتنا شأن كبير علينا أن ندرب طلابنا بنفس الشدة وقوة التعليم اللاهوتى الألمانى. وأستطيع أن أقول بدون تردد: إنه فى أثناء العالم الذى أعددت فيه نفسى مرة ثانية لدخول الامتحان قد تعلمت كثيراً وخاصة فى اللاهوت النظامى أكثر مما تعلمت طوال سنين دراستى اللاهوتية.

وأستطيع أن أقول بشجاعة إننى سعيد بفشلى فى الامتحان فى المرة الأولى،

فقد كان هذا للأفضل لى،ونتيجة لذلك الفشل أصبحت مُعداً لاهوتياً لخدمة الرب بصورة أفضل، وكان من الصعب أن أصل إليها بدون هذا الفشل.

وأنا سعيد جداً لأنى لم أستسلم، فلو أننى استسلمت فى أثناء فشلى وفقدت الأمل ، ولم أحاول دخول الامتحان مرة ثانية لكانت آثار الهزيمة ستلاحقنى فى كل وقت، ولما فتحت كتاباً فى علم اللاهوت النظامى. ولبقيت عند حد المعرفة الضعيفة التى كنت قد وصلت إليها فى العام الماضى. وكنت سأظل أسأل نفسى طوال السنين: هل يمكن أن أعيد المحاولة مرة ثانية؟وحتي لو كنت قد فشلت فى المحاولة الثانية لكان هذا أفضل بالنسبة لى عن الاستسلام. فلقد أصبح شعارى "من الأفضل أن تحاول وتفشل عن ألا تحاول بالمرة".

لذلك عندما تفشل لا تستسلم، اطلب من الله أن يعطيك قوة لتسير إلى الأمام، وهو سوف يعطيك، بل وسيعلمك كيفية الصبر والاحتمال، بشرط أن تتجاوب مع الله بطريقة صحيحة.

لذلك أقول إن الفشل فى حياة المسيحى لا يزعجنا ، لأن الله لديه أشياء كثيرة وهامة يريد أن يعلمها لنا من خلال الفشل، والنجاح الحقيقى هو النجاح المرتبط بالأبدية، ويشمل تعلم كل درس من دروس الفشل. لذلك عندما تفشل لا تيأس أو تظن أن الله أهملك، فبدلاً من ذلك تعلم من فشلك ولا تستسلم وهذه هى بداية النجاح.

الفصل الرابع

الألم والشر (١)

لاشك فى أن أكبر عائق فكرى يقف فى طريق الإيمان بالله بالنسبة للمؤمن وغير المؤمن هو مشكلة الشر.فمن غير المعقول أن الله كلى القدرة وكلى المحبة يسمح بوجود الكثير من الشر والألم فى العالم.

فكمية التعاسة والشقاء التى يعانيها البشر فى العالم بلا حدود ،فهناك الكثيرمن الشرور التى يعانى منها نتيجة وحشية الإنسان الآخر. ومن النماذج التاريخية لذلك ما حدث أثناء حكم الإمبراطور باسليوس الثانى، والذى يحكم الامبراطورية البيزيطية ويقيم فى عاصمتها القسطنطينية من عام ٩٧٥م إلى ١٠٢٥م إذ فى عام١٠٠٣م هجم سزار صموئيل"Czar samuel" "البلغارى علي مكدونية، ثم بعدها بأربع سنوات هجم على باسليوس الثانى والذى حصل على لقب "قاتل البلغاريين" بسبب حروبه المتكررة معهم، فلقد قضى باسليوس الثانى على الجيش البلغارى فى صراعه المتكرر معهم حتى عام ١٠١٤م، ولم يكن راضياً بانتصاره فقام بقلع عيون آلاف الجنود الذين لم يقتلوا فى الحرب، ثم أرسل هذا الجيش الأعمى إلى سزار صموئيل الذى فزع لمنظر جيشه العاجز والمحطم فمات من الصدمة. فما أبشع هذه الصورة للخراب والدمار.ويبدو أن الإنسان يتلذذ باستخدام أساليب متنوعة لتعذيب الآخرين على عكس الحيوانات. وتستطيع أن تتأكد من هذه الفكرة عندما تقرأ كتاب مثل "تاريخ التعذيب"لـ روبرت. مانكس (Robert P.Mannix). أوتزور متحفاً للعصور الوسطى، وترى الحيل والأساليب المبتكرة التى كانت تُستَخدم لتعذيب المسجونين.

فما هو المرض الخاص والذى كانت الكنيسة تعانى منه وسط هذه البرية؟

نرى على سبيل المثال أنه ما بين عامى١٠٩٦م و ١٢٧٤م قامت كنيسة العصور الوسطى بشن ثماني حروب صليبية رئيسية بقصد تحرير الأرض المقدسة من السيطرة الإسلامية.

ولقد اتسمت هذه الحملات بالجشع والخداع والطمع ، ولم تحقق شيئاً إلا الخراب فقد فُقدت آلاف النفوس، ففي الحملة الصليبية الرابعة مثلاً والتى تمت عام١٢٠٤م كان من المتوقع أن تتجه الحملة إلى مصر، ولكن تراجع الصليبيون فى آخر دقيقة وبدلاً من ذلك نهبوا المدينة المسيحية زارا(Zara) ثم هجموا على القسطنطينية وهى عاصمة الامبراطورية المسيحية الشرقية، لقد نهبوا المدينة بما وصف تاريخيا بأنه "رعب غير مسبوق النظير". وأكبرهذه الحملات بشاعة ما أُطلق عليه "الحملة للأطفال" فى عام ١٢١٢م. ففى هذه الحملة المضحكة تم تجنيد آلاف الأطفال ليكونوا الجيش الذى سيحرر الأرض المقدسة. وانتهت هذه الحملة ببيع هؤلاء الأطفال المخطوفين بواسطة قادة الحملة الصليبية.

إن تاريخ الجنس البشرى تاريخ إراقة الدماء والحروب. لقد شاهدت منذ فترة قصيرة عشر حلقات مسلسلة فى القناة الرئيسية بالتلفزيون عن " العالم فى وقت الحرب" والتى قدمت تاريخ الحرب العالمية الثانية. وفى الحلقة الأخيرة من البرنامج تم تقديم إحصائية للنفوس التى فقدت فى هذه الحرب كالآتى:-

٦ملايين قتيل يهودى فى مذبحة النازى (Nazia)، ١٦، مليون قتيل ألمانـى، ٢٠مليون قتيل من الاتحاد السوفيتى وغيرهم. فهناك أرقام أخرى، والإجمالى أن هناك ٥١مليون قتيل فى الحرب العالمية الثانية. فكر فى هذا رغم أننا لم نذكر شيئاً عن ملايين الملايين من الجرحى وما سببته من آلام لا تُحصى ولا تُعد

بسبب الفقر والمجاعة والتجرد من الإنسانية والفساد الأخلاقى، إلى جانب تعطل الحياة الطبيعية بسبب الحرب. إننا يجب أن نذكِّر أنفسنا بكل من هؤلاء القتلى الذين ماتوا فى فترة من تاريخ البشرية.

ربما لا يوجد أفضل من الأديب الروسى العظيم ديستيوفسكى (Fyodor Dostoyevsky) الذى صور لنا هذه المأساة البشرية وإشكالية كيفية وجود الشر رغم وجود الله. ففى أحد الفصول من روايته"brother Karamazov" نجد ايفان (Ivan) الملحد يشرح لأخيه اليوشا(aloyosha) وهو كاهن أرثوذكسى روسى كيف أن الشر الذى فى العالم يجعله غير قادر على الإيمان بالله فيقول:

"إن البلغارى الذى قابلته بالصدفة ليلاً فى موسكو حدثنى عن الجرائم التى ارتكبها "الأتراك" (Turks) والجركسيين(Gircassians) فى كل أرجاء بلغاريا... إن الناس يتصرفون بقسوة ووحشية ، بل وهذا ظلم للوحوش، فالوحوش ليست بقسوة الإنسان الذى يتقن فى أساليب قسوته وخداعه. فهؤلاء الأتراك كانوا يتلذذون بتعذيب الأطفال، ويجهضون الأمهات ، ويلقون الأطفال فى الهواء لأعلى ثم يستقبلونهم على أسنان رماحهم أمام عيون أمهاتهم. وكل هذا لكى يضفوا على تسليتهم بهجة ولذة. وليس هذا فقط بل هناك ما هو أكثر رعباً،تخيل الأم وهى تحمل طفلها على ذراعيها وتقف مرتعبة وسط دائرة من الرعب التركى تحيط بها، وهم ينظمون خطة للترفيه والتسلية، فلقد كانوا يداعبون الأطفال ويضحكون لكى يضحكوهم، وكانوا ينجحون فى ذلك، وفى تلك اللحظة كانوا يوجهون مسدساتهم إلى وجوه الأطفال، فكان الأطفال يضحكون بنشوة كبيرة ويمسكون المسدسات بأيديهم وببراءة طفل يضغطون على زناد المسدسات وهو موجه إلى وجوههم. وكان الأتراك يتلذذون بذلك ويتفاخرون

بعقولهم،أليس كذلك!

لقد جمعت الكثير بخصوص الأطفال الروس أليوشا ، ولديّ أشياء أفظع بخصوصهم. فلقد كانت هناك طفلة صغيرة عمرها خمس سنوات مكروهة من أبيها وأمها. وهذه الطفلة ذات الخمس سنوات كانت موضوعاً لكل أنواع التعذيب الممكنة من والديها. كانا يضربانها، ويركلانها بأقدامهما ويعذبانها بلا أى سبب إلى أن يصبح جسمها كله ممتلئاً بالكدمات. ثم بعد ذلك يكرران التعذيب بقسوة أشد فيضعانها تحت الجليد طوال الليل ثم يلطخان وجهها ، ويفتحان فمها ويملآنه بالبراز، ومن الذى يفعل ذلك؟ إنه الأب والأم. وعندما تنام هذه الأم تتضايق لسماع أصوات أنين طفلتها الصغيرة. فهل يمكن أن تفهم لماذا تُعَذب هذه الطفلة الصغيرة، وهى لا تدرك حتى ما يحدث لها ؟ لماذا يُحطم قلبها الصغير، وتُلقى فى الظلام تحت الثلج وتذرف الدموع البريئة، فلماذا لا يحميها الله؟. . .

فهل تفهم لماذا تحدث مثل هذه الجرائم ويسمح بها الله ؟ "

هناك أنواع من الفساد الأخلاقى سيئة جداً، وربما من الصعب أن نوفق بين وجود الله كلى القدرة وكلى المحبة ووجود مثل هذه الشرور الطبيعية فى العالم. فهناك الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات، والزلازل، والعواصف الشديدة وأنواع مختلفة من الأمراض، الجدرى ،وشلل الأطفال، والسرطان،ولوكيميا الدم، والعجز الخلقى، وضمور العضلات، والإيدز والالتهاب الكبدى الوبائى،أو الحوادث على الطريق العام، والحرائق،وحوادث الغرق، والسقوط. وفى بعض الأحيان تتضافر هذه الكوارث الطبيعية مع الشرور الإنسانية ، فمثلاً بعض

الدول والتى بها ملايين السكان تعانى مجاعة شديدة، وهذه المجاعة ليست بسبب نقص المواد الغذائية وعدم كفايتها لسد احتياجات الناس، ولكن بسبب شر الإنسان، فقد تجد الحكومة لا ترسل المواد الغذائية التموينية لعدد من الناس بسبب موقف سياسى معين، أو نتيجة السرقات المتكررة ممن لا يمكن محاسبتهم.

لقد عرض التليفزيون منذ سنين قليلة حادثتين توضحان رعب الكوارث الطبيعية. فقد تعرضت مدينة مكسيكو (Mexico) لهزة أرضية عنيفة دمرت العديد من البيوت المرتفعة، وتحركت فرق الإنقاذ بسرعة بعد الهزة مباشرة لتنقذ الأحياء من تحت الأنقاض، وفى أحد المبانى المنهارة توجهوا نحو صوت طفل فى العاشرة من عمره محبوس فى مكان ما أسفل المبنى المنهار، وكان العالم كله يشاهد بألم جهود فرق الإنقاذ وهى تحاول أياماً عديدة نقل الأنقاض لكى تصل لهذا الطفل قبل أن يموت، ولكنهم لم يستطيعوا الاتصال به، ولم يقدروا الوصول إليه. وكان جده المحبوس معه فى نفس المكان قد مات سريعاً، وكان الطفل يصرخ" أنا مرعوب " "أنقذونى"، وبعد حوالى أحدى عشر يوماً كان هناك صمت تام ، ومات الغلام الصغير قبل أن يصل إليه فريق الإنقاذ، ووُجد الغلام وحيداً فى الظلام محبوساً بلا طعام أو شراب.

فى نفس العام اجتاح فيضان كبير قرية صغيرة فى كولومبيا(Colombia) وكان الطين والوحل يملآن كل شوارع القرية ، وجاءت فرق الإنقاذ لمساعدة الأحياء وإنقاذهم، وتوجهوا نحو فتاة صغيرة، وكانت المياه بالطين تكاد تصل إلى ذقنها، ولسبب أو لآخر لم يستطيعوا الوصول إليها أوإبعاد المياه عنها، ووقفوا عاجزين أمامها وهم يشاهدونها تموت. وفى نشرة الأخبارفى كل ليلة

كنا نشاهد الفتاة الصغيرة وهى تغوص فى الطين. وكان هذا المنظر من أسوأ المناظر التى شاهدتها.لقد وقفت الفتاة هناك غير قادرة على الحركة ، تحاول بكل ما تملك من قوة أن تطرد المياه التى كانت تتدفق إلى فمها بقوة. وكلما تمر الأيام كانت قواها تستهلك إلي أن غطست فى دائرة سوداء من الطين. لقد ماتت أمام أعيننا ونحن نشاهدها فى التليفزيون. وأخيراً قال مقدم نشرة الأخبار:لقد ماتت.

إن هاتين الحادثتين مزقتا قلبى ألماً، وبدأت أتساءل:إلهى أين أنت! لماذا تسمح بأن يموت هؤلاء الأطفال بهذه الطريقة البشعة؟ لو أن مصيرهما الموت، فلقد كنت تستطيع أن تجعل هذا الطفل يموت فى الحال تحت الأنقاض، والفتاة تغوص فى الحال فى المياه، فلماذا هذا التعذيب بالموت البطىء؟ وسأكون أميناً معك وأقول إننى عندما رأيت هذه الأشياء تحدث أمامى وجدت أنه من الصعوبة الإيمان بالله.

عندما كنت صغيراً كنت أظن أنه لا يمكن أن يصاب المسيحى بكوارث مثل التى تحدثنا عنها، وخاصة أولئك الذين يعيشون بحسب مشيئة الله. ألا يقول الرسول بولس فى (رومية٨:٢٨) "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون بحسب قصده؟ وكنت أظن أن المسيحيين الذين يجتازون فى الضيق والألم، والذين لا دخل لهم فيه، ربما لأنهم خارج إرادة الله. ولكن بنظرة عميقة فاحصة سنكتشف خطأ هذا التفكير لأن البار يتألم. فلا أنسى الخادم المسيحى الشهير فى بلدنا والذى فقد حياته فى حادث مفاجىء عندما كان يجرى وسقط على سلك شائك لم يكن يراه فمزق عنقه. ولا أنسى أيضاً ذلك الراعى المبارك الذى كان يرجع بسيارته إلى الخلف فقتل ابنه الطفل

الصغير والذى كان يلعب خلف السيارة. ولا أنسى أولئك المراسلين الكنديين الذين سقطت ابنتهما من نافذة الطابق الثالث على الطريق العام فتحطمت وأصيبت بارتجاج فى المخ. وهكذا يتضح لنا أن المؤمنين غير معفيين من الألم.

أمام هذه الأنواع المختلفة من الآلام سواء التى تحدث نتيجة الكوارث الطبيعية، أو التى بأسباب بشرية يظهر السؤال الذى حير الكثيرين من الناس وهو: كيف يوجد الله وهو كلى القدرة وكلى الصلاح، وتحدث هذه الكوارث؟ منذ سنين قليلة حاول كاتب يهودى أن يجيب على هذا السؤال ليحل هذه المشكلة فكتب كتاباً بعنوان "لماذا تصيب الصالحين أشياء رديئة؟" وقد بيع عدد كبير، ولكن لسوء الحظ لم يحل المشكلة، لأنه أجاب على هذا السؤال بإنكار سلطان الله، وأنه ليس كلى القدرة. وهذا غير صحيح لأن كل الكتاب المقدس يؤكد على سلطان الله، فكيف نوفق بين وجود الشر الذى يحدث من حولنا فى العالم ووجود الله كلى القدرة والصلاح؟؟

دعنى أبدأ معك بالتمييز بين عدة نقاط، لكى يكون تفكرينا سليماً فيجب أولاً أن نميز بين المشكلة العقلية للشر، والمشكلة العاطفية للشر. فالمشكلة العقلية تحتاج أن نقدم تفسيراً عقلياً ومقنعاً لوجود الله والشر معاً، أما المشكلة العاطفية للشر فتختص بكيفية تعزية وتشجيع أولئك الذين يتألمون، وكيفية إزالة مشاعر المرارة من داخلهم. إن المشكلة العقلية من اختصاص الفلاسفة، بينما المشكلة العاطفية من اختصاص المهتمين بالمشورة، فمن المهم أن ندرك هذا التمييز لأن حل مشكلة الشر عقلياً وهو يتألم ويعانى لا قيمة له، فإلى جانب أنه صعب، لا يريحه ولا يساعده. وكذلك حل المشكلة عاطفياً لشخص يتأمل فيها متجرداً من كل شيء لا قيمة له.

لا تنسى هذا التمييز ودعنا نناقش أولاً المشكلة العقلية للشر.وهنا نحتاج أن نميز تمييزاً آخر، فهناك تفسيران لمشكلة الشر :التفسير المنطقى"Logical" والتفسير الاحتمالى(Probabilistic) . من الناحية المنطقية يحاول الفلاسفة الملحدون أن يبرهنوا على الاستحالة المنطقية لوجود الله والشر معاً، فيقولون إن هناك تناقضاً عقلياً عندما نظن أن هناك قوتين متناقضتين راسختين يعملان فى وقت واحد، والاثنين يناقض أحدهما الآخر. فلا شك فى أنه إذا كان أحدهما موجوداً فالآخر يجب أن يكون غير موجود. ونحن الآن نرى أن الشر موجود وهذا دليل عقلى على عدم وجود الله. ومن الوجهة الاحتمالية لمشكلة الشر يقولون إنه إذا كان ممكناً لله والشر أن يوجدا معاً فيصبح من غير المحتمل أن يسمح بوجود الشر، ولأن الشر موجود فهذا يعنى استحالة وجود الله.

دعنا نفحص كل دليل من هذه الأدلة مرة أخرى:

أولا: التفسير المنطقى للشر (The Logical Problem Of Evil)

فكما لاحظنا أن أصحاب هذا التفسير لعبارتى "الله كلى القوة وكلى الصلاح موجود" و"الشر موجود" متناقضتين عقلياً، فلا يمكن أن يوجدا معا.والآن عندما نواجه هاتين العبارتين بتدقيق سنجد أنهما غير متناقضتين، ولا يوجد أى تناقض واضح بينهما. ولكن بلا شك أن هذا الاعتراض يخفى وراءه عدة افتراضات تجعل المعترض يقول إنه من غير المنطقى أن يوجد الله والشر معاً. فما هى هذه الافتراضات؟

يبدو أن هناك افتراضين هما:

(أ) لو أن الله كلى القدرة كان من الممكن أن يخلق عالماً بالصورة التى

يريدها. . .

(ب) ولأن الله كلى الصلاح كان من الممكن أن يفضل عالماً بلا شر عن أن يخلق عالماً به شر. ويمكن أن نجمل الاعتراضات العقلية بأن الله كلى القدرة كان يمكن أن يخلق عالماً يحتوى على مخلوقات حرة، ويختارون بكامل حريتهم فعل الخير، وبذلك يصبح العالم خال من الخطية، وكل البشر أحرار.وبنفس القياس، طالما أنه كلى الصلاح كان يستطيع أن يخلق عالماً خال من الكوارث الطبيعية، وبذلك يصبح العالم خال من الشر والألم والمعاناة.

لاحظ هنا أن المعترضين لايقولون إن البشر سيكونوا مثل التماثيل في هذا العالم، بل ومن الممكن كل شخص في هذا العالم يفعل الخير بحريته. ولا شك في أن عالم مثل هذا لا يمكن أن يكون، فالخطية ضرورية، وهكذا أينما كنت ستجد ناموس أخلاقي، فهذا الكلام سهل نظرياً، ويمكن أن تتخيل عالم فيه كل شخص يختار بكامل حريته أن يفعل الخير وفي كل وقت، وتقول لأن الله كلى القدرة يستطيع أن يخلق عالماً مثل هذا.

ويستمر المعترض قائلاً: ولأن الله كلى الصلاح كان بالطبع عليه أن يخلق عالما أفضل من هذا العالم الملوث بالشرور. ولكن يبدو أن الله لو كان سيختار بين هذا العالم وعالم آخر متصدع أسوأ منه لكان اختياره للعالم الأسوأ.

على كل حال يبدو أنه إله شرير يختار أن تكون خليقته تعانى الألم والشقاء، بينما يستطيع هو أن يعطيهم السعادة والنجاح.

إن العالم الاسكتلندى ديفيد هيوم(David Hume) لخص المشكلة المنطقية للشر بذكاء فى القرن الثامن عشر، عندما تساءل بخصوص الله قائلاً: "هل هو يريد أن يمنح الشر ولكنه غير قادر؟ حينئذ يكون عاجزاً . هل هو قادر ولكنه لا يريد ؟ حينئذ يكون حقوداً.هل هو يريد ويقدر؟ فلماذا الشر إذن؟؟

إن هذين الافتراضين اللذين يقدمهما المعترض فيهما مغالطات كبيرة ولا يمكن أن يكونا بالضرورة صحيحين.

أولا:ليس من الضرورى أن يخلق الله كلى القدرة مثل هذا العالم المستقيم. فوجود الله كلى القدرة لا يعنى أنه يستطيع أن يفعل المستحيلات منطقياً،مثل أن يجعل المربع مستديراً.أو يجعل شخصاً ما ليختارأن يفعل أى شئ بحريته.لأنك إذا دفعت شخصاً ما ليختار شيئاً محدداً بالذات فإن هذا الاختيار لا يمكن أن يكون اختياراً حراً. لقد وهب الله كل إنسان حرية حقيقية ليختار كما يشاء ولذلك سيصبح من غير المعقول أن نقول إنه يجب أن يضمن ويتعهد اختياراتهم. إنه يستطيع أن يخلق الظروف التى فيها يستطيع الإنسان أن يختار حراً، ويقف من خلفه ويتركه ليختار كما يشاء. إن كلام المعترض يحتاج تصحيحاً فما هو البديل الآخر لهذا العالم؟ وأى إله الذى نقول عنه إنه عاجز عن أن يخلق عالماً آخر؟

إن أى عالم فيه بشر أحرار، فلا بد لهم أن يختاروا بحريتهم أن يفعلوا الخيرأو الشر. وفى مثل هذه الحالة ستجد أن البشر بأنفسهم سيفعلون الشر،

ولا يمكن أن يفعل الله شيئاً ليمنعهم من أفعالهم، وإلا سيجردهم من إرادتهم الحرة. وهكذا نجد أن أى عالم يخلقه الله حراً سيكون به خطية وشر.

فضلاً عن هذه الشرور الطبيعية التى بسبب حرية الإنسان، هناك فاعلية الدور الشيطانى في العالم. فالشياطين لها حرية معينة كما أن الجنس البشرى له حرية إرادة، ولا يمكن لله أن يمنع هذه الشرور بدون أن يجرد الكائنات الشيطانية من حرية إرادتها.

والآن ترى أن الافتراض الذى يقدمه المعترض لمشكلة الشر الطبيعية هو افتراض سخيف ومضحك وهزلي. ولكن بالرغم من ذلك ربما ما زلت تشعر بالحيرة أمام المشكلة المنطقية للشر،والمشكلة الاحتمالية، واعترف الجميع أنه عندما ننسب كل الشرور إلى الأرواح الشريرة فهذا أمر مستحيل وفى غير مكانه.

إن كل ما نحاول شرحه هنا هو إمكانية وجود الشر، ونتيجة لذلك فإن المعترض على أن وجود الله والشر متناقضان عقلياً غير صحيح. لذلك فالافتراض الأول الذى قدمه المعترض والذى يقول فيه إن الله كلى القدرة كان يمكن أن يخلق عالماً آخر غير هذا العالم الملوث بالشرور، غيرصحيح، لأن الدليل الذى يقدمه المعترض وحده ضعيف.

ولكن ماذا نقول بالنسبة للافتراض الثانى، والذى يقول فيه المعترض إذا كان الله كلى الصلاح فكان يجب خلق عالم بلا شر به بشر؟ ومرة ثانية أقول إن هذا الافتراض لا يمكن أن يكون بالضرورة صحيحاً. فالحقيقة هى أنه فى كثير من الحالات عندما نرى شخصاً يعانى ويتألم ، فذلك لكى يقوده للأفضل،

وهناك أسباب كافية تجعل الله يسمح بذلك. وكل أب يعرف هذه الحقيقة، ففى بعض الأحيان لا يقدر الأب أن يحمى ابنه من كل صدمة، أو كل خدش،أو حادث عارض. وفى بعض الأوقات يقتضى نظام التربية والتهذيب أن يوقع الأب على الطفل العقاب لكى يعلمه ليصبح ناضجاً وقادراً على تحمل المسئولية. وعلى نفس القياس فقد يسمح الله فى بعض الأحيان بأن نجتاز فى بعض الآلام والضيقات وذلك لكى يمتحننا، أو يبنينا ويقودنا للأفضل، أو لكى يمتحن الآخرين ويصل بهم إلى نهاية المطاف.

وهذه المراحل كثيراً ما تكون شديدة الألم كما اكتشف س.س. لويس "C.S.Lewis" بعد وفاة زوجته. متخيلاً الله ذلك الجراح العظيم الذى ينظر للعالم ككل، وليس الشخص الذى يتلذذ بإيذاء الآخرين. يقول :

"الشىء المفزع هو أن الله كلى الصلاح... مخيف بقسوة مثل الشخص السادى* إن ما يجب أن نؤمن به هو أن الله يجرح فقط لكى يشفى، وما يجب أن لا نؤمن به هو أنه لا توجد فائدة من محاولة طلب رقة الله وحنانه، فإن الرجل القاسى أحياناً يتجاوب، وربما يتألم عندما توجه له إهانة، ويصنع معروفاً مناسباً، ولكن فكِّر فى الله العظيم الذى قد تظن أنه ضدك وهو الجراح العظيم الذى مقاصده كلها خير وصلاح. إنه اللطيف صاحب القلب المحب والذى بقسوة يجرح ولكنه يعصب، يسحق ويداه تشفيان. إذا رضخ لتوسلاتك، وتوقف فى منتصف العملية الجراحية التى تقوم بها سيصبح الألم الذى عانيته إلى هذه النقطة بلا فائدة.ثم يتساءل،ماذا يقصد الناس عندما يقولون :أنا لا

---

*السادى:هو الذى يتلذذ بإيذاء الآخرين "المترجم"

أخاف من الله لأنى أعرف أنه كلى الصلاح؟ ألم يذهبوا مرة إلى طبيب الأسنان؟

ولذلك عندما نقول إن الله كلى الصلاح فلا شك فى أن لديه الأسباب الكافية التى تجعله يسمح بالألم والضيق الذى فى العالم. وهكذا نرى أن الافتراض الثانى للمعترض والذى يقول فيه: إن الله كلىَ الصلاح كان يمكن أن يفضل عالم بلا شرعن عالم بشر، ليس بالضرورة صحيحاً.

إن الدليل الأخير للجانب العقلى من مشكلة الشر غير دقيق. فلا يستطيع أى شخص أن يقدم برهاناً قاطعاً على أن وجود الله ووجود الشر متناقضان.ولكن أولئك الذين يتمسكون بالمشكلة العقلية للشر يعاودون الهجوم من زاوية أخرى. فيمكن للبعض منهم أن يصرح بأنه لا يوجد تناقض بين الله والشر معاً بصفة عامة، ولكن يظل النقاش حول تعارض الله مع مقدار ونوعية الشر التى تحدث فعلاً،وتملأ كل العالم. وبتعبير آخر إنه إذا كان وجود الله لا يتعارض مع حقيقة أن هناك أبرياء يتألمون وقد يقتلون ، ولكنه يتعارض مع هذا العدد الضخم من القتلى الأبرياء، والذين يُعذبون ويُقتلون بطرق بشعة وملتوية. لأن الله كلى الصلاح والقدرة ولا يحب حدوث مثل هذه الأشياء.

وهذا البرهان فاشل لأنه غير واضح وغير صحيح. فتأمل فى حجم الشر الذى فى العالم، فبالرغم من أن العالم مضطرب وقلق إلا أنه مازال هناك توازن بين الخير والشر، بل والجانب الخيِّر الذى نتعامل معه أكبر من الشرير. فمثلاً بالرغم من انتحار الكثيرين، إلا أن غالبية الناس بالرغم من الأمراض التى تصيبهم والآلام التى يجتازون فيها ينظرون إلى الحياة أنها تستحق أن تعاش.

وعندما تبدو الأمور سيئة نرى الناس ينظرون إلى المستقبل بأمل وتفاؤل بأن هذه الأشياء ستصبح أفضل.

فمن الممكن أن نقول إن هذه الحرية المعطاة للجنس البشرى لو أعطيت لأى عالم آخر غير هذا العالم، كان الله قد خلقه، لكان التوازن بين الخير والشر سيكون أسوأ مما يحدث فى هذا العالم. ونستطيع أن نقول، إن أى عالم يحوى القليل من الشر سيكون فى نفس الوقت يحوى القليل من الخير والصلاح.

ولا شك فى أن العالم الذى نعيش فيه أفضل من أى تخيل لنا لعالم آخر، فلا شك فى أن معظمه صلاح والله هو الذى يُحجِّم الشر. وربما نجد الآن من يقولون إننا لا نجد أموراً حسنة فى العالم، ويتمسكون بالمشكلة المنطقية للشر، والمشكلة الافتراضية، ولا يمتلكون حلاً سوى اقتراح خلق عالم أفضل. إن كل ما يحتاجون إليه هو إدراك أن الله والشر يمكن أن يوجدا معاً.

ومهما كانت أنواع الشرور التى تحدث فى العالم، فإن المسيحيين يؤمنون بأن الله لديه الأسباب الكافية التى تجعله يسمح بوجود هذه الشرور الفظيعة التى تحدث فى العالم. فلقد فضل الله أن يعطى الجنس البشرى حرية شخصية فى أن يجعل هذه الشرور تحدث عن أن ينزع حرية الإرادة من أولئك الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم. (وهو لا شك سوف يعاقب أولئك المجرمين بعد حياتهم،ويعزى أولئك الضحايا). وعلى نفس القياس نجد أن جزءاً من الكوارث والشرور التى تحدث فى العالم بسبب الأرواح الشريرة والتي تنطبق عليها فكرة حرية الإرادة التى قدمناها سابقاً.

ويبقى الاعتراض بأن الله كان من الممكن أن يخلق عالماً به بشرأحرار

ولكنهم في نفس الوقت يرتكبون جرائم وشرور أقل. ولكن سينطبق هنا نفس الدليل الذي قدمناه قبلاً، إلى جانب أنه إذا كان في مثل هذا العالم شر قليل سيتبع ذلك أيضاً خير وصلاح قليل.

إن المعترض يريد أن يبرهن على أنه من المستحيل عقلياً أن يتواجد الله والشر الذي يحدث في العالم في وقت واحد. أو يريد أن يبرهن على أن الله لا يمتلك الأسباب الأخلاقية الكافية التي تجعله يسمح بكمية وأنواع الشرور الموجودة في العالم. ولم يقدم لنا أي برهان قاطع على صحة هذا الافتراض.

وبالرغم من أن المعترض فشل في أن يبرهن على أن وجود الله ووجود الشر متناقضان، فإننا يمكن أن نبرهن على أنهما متوافقين وغير متناقضين، وأن الشر يمكن أن يوجد بالرغم من وجود الله. فالله لم يُرد أن يخلق عالماً به الكثير من الخير عن هذا العالم والذي به القليل من الشر لأنه عندما سيكون به الكثير من الشر فهناك تناسب بين الخير والشر من حيث الكمية والكيفية. فضلاً عن ذلك فإن الله لديه الأسباب الأخلاقية الكافية التي تجعله يسمح بوجود مثل هذه الشرور.

ولكي نلخص نقاشنا حول المشكلة العقلية للشر، نستطيع أن نقول إنه لا يوجد تناقض بين وجود الله كلي الصلاح وكلي القدرة ووجود الشر في هذا العالم.

وأستطيع أن أقرر بسرور بأن الفلاسفة المعاصرين بعد قرون طويلة من النقاش أدركوا هذه الحقيقة. والآن يوجد على مفهوم على نطاق واسع بأن المشكلة المنطقية للشر قد حلت. ونحن نشكر الله من أجل الفلاسفة المسيحيين

أمثال "الفن بلانتينجا"Plantinga ، ونحن مدينون له بالدراسات المتعمقة التى قدمها فى هذا المجال.

وقبل أن نسترد أنفاسنا يجب أن نواجه أيضاً المشكلة الاحتمالية للشر وهذا ما سنفعله فى الفصل القادم.

الفصل الخامس

الألم والشر (٢)

عندما نتأمل فى المشكلة الاحتمالية للشر، تبدو الأمور أنها ليست سهلة. فحتى لو أن التفسير الذى قدمناه فى الفصل الماضى عن الشركان ممكناً، ولكنه يظل غير واضح. وعندما نفسر الكوارث الطبيعية على أنها بسبب الشياطين يصبح الأمر مضحكاً. فهل يوجد من يؤمن فعلاً بأن الزلازل تحدث نتيجة حركة الشياطين للقشرة الأرضية، أو أنها تحدث عندما يحرك الشيطان قدمه؟ وهل لا يقدر الله أن يقلل الشر الذى فى العالم دون أن يقلل الخير؟.

عندما نتذكر القصة المؤلمة التي حدثت فى مدينة مكسيكو (Mexico) نتساءل هل كان الصلاح الذى في العالم سيتأثر لو أن هذا الطفل مات فى الحال عند سقوط المبنى بدلاً من أن يظل ١١ يوماً يعانى ويتألم؟ إن العالم مليء بالكثير من المواقف التى تشبه هذا الموقف، مما يصيب الإنسان بالفشل والإحباط، وهذا يجعل البعض يشك فى أن الله يمتلك الأسباب الكافية عندما يسمح بمثل هذه المصائب. وبحسب ما تقدم يصبح من غير المحتمل، إن لم يكن من المستحيل أن يكون الله موجوداً.

والآن توجد مجادلة أكثر قوة غير المشكلة المنطقية للشر، حيث نتيجتها كانت متواضعة. (من غير المحتمل عدم وجود الله) ،فهى أكثر سهولة للبرهان. ماذا نقول عن هذا الجدل، هل من الممكن عدم وجود الله.

من المهم جداً أن نلاحظ الفرق بين التفسير الاحتمالى والتى قدمناها الآن، والمشكلة العقلية الخالصة التى قدمناها من قبل، والتى لا يكون أمامك إلا الحجة العقلية المقدمة لتناقشها. ففى المشكلة العقلية عندما يُقدم برهان قاطع

بأن الله غير موجود فلا تقدر أن تناقشه، ولكن مع البراهين الاجتماعية يمكن أن تسأل عن الاحتمالية الأخرى. ولكنى أوضح هذه الفكرة، تخيل أن جوى(joe)طالبة فى الجامعة، وتخيل أن ما يزيد عن٩٥٪ من طلبة الجامعة التى تدرس فيها يشربون الخمر،فبالنظر إلى هذه المعلومات سيصبح هناك احتمالات كثيرة أن تصبح جوى من شريبى الخمر. ولكن تخيل أن جوى تدرس فى جامعة وايتن وأن ٩٥٪ من طلبة هذه الجامعة لا يشربون الخمر، فسيكون احتمال أن تصبح جوى من شريبى الخمر أقل احتمالاً! والنقطة الهامة هنا أن الاحتمالات ترتبط بمعلومات أخرى لابد وأن تؤخذ فى الاعتبار.

والآن نطبق هذا المبدأ الاحتمالي لمشكلة الشر،الذى ينادى بإثبات استحالة وجود الله من خلال نظرية الاحتمالات. ولكن السؤال هنا إن كان الله غير موجود فما هو الاحتمال الآخر؟ هل نستنتج عدم وجود الله من خلال وجود الشر فى العالم؟ إذا كان هذا هو العامل الوحيد المأخوذ فى الاعتبار فإن هذا يدعو إلى الدهشة أن يستنتج البعض استحالة وجود الله. إن معظم الفلاسفة المسيحيين يستطيعون تقديم الدليل القاطع والبرهان الواضح على وجود الله، ويشرحون العلاقة التى له بالشر الذى فى العالم، وأنه ليس دليلاً على استحالة وجود الله. والمسيحية لا ترتكب تلك الحماقة مثل ما فعل أصحاب المشكلة الاحتمالية للشرور،التى تتمسك بدليل واحد، ولكنها تقدم العديد من الأدلة والبراهين على وجود الله مثل الدليل الكونى، وبرهان الخلق، والدليل الغائى من التصميم الذكى لهذا العالم، وشهادة الطبيعة، وشهادة الإنسان، وشهادة الوجدان الإنسانى، والدليل الأخلاقى، كما يوجد الدليل المستمد من شخص المسيح، وتاريخ القيامة، ووجود المعجزات، أضف إلى ذلك الاختبار الدينى. فعندما ندرس كل الأدلة

فى هذا المجال سيصبح من المؤكد وجود الله. وهنا تقبل المسيحية مشكلة الشر بصورة مختلفة، ولا تجعل وجود الله مرتبطاً فقط بمجرد وجود الشر. وعندما ندرس كل الأدلة المختصة بهذا الموضوع سيميل الميزان تماماً فى كفة المسيحية. إلى جانب أنه لو أدخل الدليل الذاتى أو الشهادة الداخلية للروح القدس كجزء من الأدلة لأى إنسان، فإنه من وجود الله حتى لو لم يكن لديه أية إجابة على مشكلة الشر.

حتى لو كان التفسير الاحتمالى لمشكلة الشر أكثر سهولة للبرهان من مشكلة الشر العقلية، وحتى فى حالة نجاحها ولكنها غير حاسمة. وهل نجح هذا التفسير الاحتمالى؟ كلا. لأنه لسبب هو أن الاحتمالية بعيدة كل البعد عن الوضوح لأنها تميل إلى العنصر الذاتى. وما يبدو محتملاً لشخص ما يكون مستحيلاً لشخص آخر، وهذا ما ينطبق على مشكلة البر. فهل وجود الله فى العالم يجعل وجود الله مستحيلاً؟ إن هذا يعتمد على احتمالات وجود أسباب أخلاقية تجعل الله يسمح بمثل هذه الشرور.

الذى يجعل نظرية الاحتمال هنا صعبة التحديد، أننا نجهل خطة الله. فنحن لسنا فى الموقف الذى نستطيع أن نعرف لماذا يسمح الله بمثل هذه الشرور. فحتى لو بدت معظم الحوادث الشريرة كأنها بلا مبرر، أو بلا سبب كيف نستطيع أن نتأكد من هذا؟ فربما هذه الحوادث تناسب الصورة الكبيرة التى رسمها الله للعالم. فالله يقود التاريخ لقصده النهائى. وهل من السهل أن نعرف أسباب كل ما يحدث فى هذا العالم الكبير المعقد الممتلىء بالمخلوقات الحرة، والتى يمكن أن تدنس هذه الحرية؟ فكر مثلاً فيما لا يعد ولا يحصى من حوادث فردية فى التاريخ البشرى! ولا شك فى أن كل هذه الأحداث يسمح بها

الله ليضع صورة متكاملة.خذ مثلاً جرائم الإبادة الكاملة. يمكن أن نتذكر بعض الحوادث البشعة جداً، والتى جعلت ملايين الأشخاص يفقدون إيمانهم بالله خلال هذه الكوارث. ولكن ربما قد قصد الله أن يكون الطريق الذى من خلاله يعد شعبه، هو الكوارث والأحداث المؤلمة كالاضطهاد. وبالطبع أنا لا أقصد أن أقول إن هذه الحوادث صالحة،فهذا سخف، فبعض هذه الحوادث بشعة وضد إرادة الله الكاملة، ولكن ربما يوجد لدى الله الأسباب الكافية لسماحه بمثل هذه الكوارث، ومنها تكوين إسرائيل الجديد.لقد قال أحد آباء الكنيسة عن كثرة الشهداء فى العصر المسيحى الأول إن دماء الشهداء بذار الكنيسة.

وربما فى الأجيال المقبلة من يرى فائدة من يموتون اليوم فى حوادث قاسية.ومن يعلم ما هى خطة الله المستقبلية لشعبه؟ فربما يلعب شعبه دوراً رئيسياً فى هذه الأحداث مما يجعل الشعوب ترى أن الله لديه الأسباب الكافية لمثل هذه الأحداث.

ونفس الشيء ينطبق على مستوى الحوادث الفردية. فنحن لا نعرف كيف أن الله يستخدم مثل هذه الآلام التى نجتاز فيها، أو التى يجتاز فيها من حولنا. نعم ربما ننظر إليها على أنها بلا فائدة ولكننا ببساطة لسنا فى موقف الحكم لنرى كل شيء ونحكم عليه.

والنقطة التى أحاول أن أبرزها هنا هى أن اعتبار الألم والضيق شيء سيىء جداً وأنه دليل على أن الله غير موجود غير صحيح.

لقد تحدث الملحدون كثيراً عن التفسير الاحتمالى للشر وقالوا إنه إذا كان الله موجوداً فمن غير المحتمل أن نرى الشر فى العالم الذى نعيش فيه. فماذا يفعل المسيحيون أمام هذه الأفكار، عليهم كمسئولين أن يبرهنوا على احتمالية

وجود الله رغم وجود الشر، وأنه إذا كان الله موجوداً ليس مدهشاً أن نرى الشر أيضاً موجوداً. ولذلك فوجود الشر لا يجعل وجود الله مستحيلاً.

لقد قدم المؤمنون براهين قاطعة فى هذا المجال، مستمدة من المفهوم المسيحى عن الله. فما هى هذه النظريات؟

علينا أن نبدأ بحسب وجهة النظر الكتابية بالسؤال الرئيسى: ما هو هدف الحياة؟ وما هي غاية الإنسان؟ ولاشك أن الإجابة هى أن يعرف الله. يقول المسيح فى(يو١٧ :٣):"وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته"ولكن الجنس البشرى تمرد على الله ولم يحقق قصده، ووجدت البشرية نفسها بعيدة عن الله ومذنبة أمامه، وتتسكع فى ظلام روحى، وما القتل والتدمير والفساد الذى قدمته فى بداية الفصل الماضى إلا نتيجة لفساد الإنسان وبعده عن الله.

إن المسيحية لا تندهش من الفساد البشرى الذى يحدث فى العالم بل على العكس تتوقع ذلك. والكتاب المقدس يبين لنا أن الله يريد أن يمتنع الإنسان عن الخطية، والتى يفعلها بحريته، ولكنه لا يتدخل بسلطانه ليمنع الإنسان ، فهو يترك الإنسان ليقرر بحرية. وبالإضافة إلى الشرور الإنسانية هناك مجال آخر لكائنات أقوى وأكبر من الإنسان فى تمردها على الله، إنها الأرواح الشريرة، فهى تريد أن تفسد أعمال الله وتعطل قصده، ولكن الله وضع حدوداً لسلطانه المخرب، ويحاول بروحه القدوس أن يحوّل قلوب البشر من تحت سلطان قوى الشر إلى ملكوته. ولقد أعطى الله الناموس الأخلاقى لشعب إسرائيل، وأرسل إليهم نبياً بعد الآخر ليتوبوا عن خطاياهم ويرجعوا ليخصلوا، وأخيراً أرسل ابنه

يسوع ليموت كذبيحة كفارية، ويتحمل خطية الجنس البشري وعقاب خطاياهم، ومن خلاله يمكن للإنسان أن يدخل فى علاقة شخصية مع الله. وكل من يقترب منه لمعرفته من خلال ابنه يسوع ينضم لعائلة الله، فيتقوى ويثبت بروحه القدوس. وبالرغم من ذلك لا ينجو من الشر الذى فى العالم، ولا يُستثنى من آلامه، ولكن يعطيه الله نعمة احتمال إلى أن ينقله إلى بيته الأبدى. وفى الحياة الآتية سيمتع الله أولاده بفرح لا ينطق به، ويباركهم ويكافئهم لإيمانهم، بينما سيعاقب أولئك الذين يستمرون فى خطاياهم ويزدرون بالنعمة المقدمة لهم.

إن قصة الخلاص هذه تكون إحدى عناصر دفاعنا عن المشكلة العقلية للشر. فمن المقبول مثلاً أن هذه المخلوقات الحرة الإرادة هى مصدر الفساد الأخلاقى فى العالم. ومن المقبول أيضاً أن الله لا يستطيع أن يخلق بشراً بإرادة حرة دون أن يخطئوا. ومن المقبول أيضاً أن هذا العالم المتسع والذى به هذا الكم من الصلاح سيمتنع تماماً عن التعامل مع الشر والخطية، كما أن جزءاً من الشرور الطبيعية تعود إلى فاعلية الشرير. وأخيراً فإن قوى الشر ومسببات الألم لابد وأن تدان فى ضوء الصلاح الأعظم.

بالرغم من كل هذه الأفكار ولكنها لا تجيب عن كل أسئلتنا، فدعنا ننظر مثلاً إلى الشر الأخلاقى، والمشكلة هنا فى كمّ الفساد وأنواعه المختلفة التى تجتاح العالم.

صحيح إن العالم الذى به الكثير من الشر به أيضاً الكثير من الخير والصلاح، ولكن معظم الآلام والمعاناة التى يجتاز فيها عدد كبير تبدو أنها بلا مبرر وغير ضرورية. فمثلاً لماذا لم يتدخل الله ويمنع موت الأطفال فى الحروب

الصليبية؟ هل الشر الذى كان فى العالم قليلاً فتضاف إليه مذبحة جديدة؟إن هذه المذابح تبين وتؤكد حرية إرادة أولئك المجرمين والظلمة الذين خطفوا الأطفال، ولكن ألم يكن من المهم ليزيد الصلاح الذى فى العالم أن يمنع هذا ؟ وهنا يثار تساؤل آخر هو أين فكرنا المسيحى فى هذا الموضوع؟ إن أحد أسباب ظهور هذه المشكلة تبدو عندما ننبر على أن قصد الله للعالم هو أن تسعد البشرية فى هذه الحياة، فهذا ليس صحيحاً من وجهة النظر الكتابية. إن قصد الله للإنسان القداسة وليس السعادة. فغاية الإنسان هى معرفة الله. أضف إلى ذلك أن هذا القصد لا يتحقق كاملاً هنا فى هذه الحياة، ولكنه يمتد إلى ما بعد القبر إلى الأبدية. أخيراً إن معرفة الله هى ما أطلق عليه الفلاسفة الخير الأعظم. فالمعرفة الشخصية لله الغير محدود خالق المسكونة ومصدر كل امتياز لا يعادله أعظم شئ فى العالم. عندما ندرك هذا لا نقول إن هناك الكثير من الشرور والآلام التى تؤثر على السعادة البشرية لأن معرفة الله أهم من أى شىء آخر. إن دستوفسسكى(Dostoyevsky) الذى عبر عن مشكلة الشر بقوة ووضوح، حاول الإجابة على هذه النقطة فى رواياته من خلال تصويره لبركة الألم فى حياة المتألمين وكيف أنهم يزدادون تديناً وقداسة. لقد صلى بولس لكى يشاركه آلامه قائلاً:"لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه"(فى٣: ١٠). وقيل عن المسيح إنه أكمل بالآلام خلاصنا"وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام"(عب٢: ١٠). وهنا قد نجد المعترض يقول: إن الناس قد يتحولون ضد الله عندما يجتازون فى الألم. وهذا بالتأكيد قد يحدث، ولكن لاحظ أن هذا يحدث بإرادة الإنسان الحرة. إن رغبة قلب الله أن يقترب كل الناس منه، وأن يعرفوه فى شخص يسوع المسيح، وأن يمتلئوا من روحه. إن الآلام التى

يسمح بها الله يجب أن تدفعنا للاتكال على الله والإيمان به. ولكن هذا يتوقف على كيفية تجاوبنا مع الألم. ونستطيع أن نقول إن هناك بعض الآلام ليس لها أى فائدة أرضية ولكنها ربما تقود المتألمين لمعرفة أعمق لله. هناك بعض الحالات التى نستطيع أن نقول إنها بلا فائدة أرضية لأصحابها، وبلا فائدة روحية. فهى لا يمكن أن تقود أصحابها لمعرفة أعمق لله، مثل حالات موت الأطفال أو آلامهم. ولكننا نستطيع أن نقول إن هذه الآلام المقصود بها من حولهم مثل الوالدين مثلاً أو غيرهم. فهؤلاء قد تقودهم هذه الآلام ليتجهوا إلى علاقة حميمة مع الله، وتسليم كامل له، وليجدوا تعزية وتشجيعاً.

لعلنا جميعاً سمعنا قصصاً كثيرة عن كيف أن بعض الناس اقتربوا من المسيح ونالوا الخلاص بشهادة آلام الآخرين. فضلاً عن ذلك هناك حياة أبدية تنتظر كل من يثق فى الله بإيمان، ويعيش فى طاعته فى هذه الحياة. فعندما يدعو الله أولاداً ليجتازوا آلام شديدة فى هذه الحياة فهو يسندهم ويشجعهم، إلى جانب وعده بالفرح السماوى والمجازاة العظيمة التى تنتظرهم.

إن الرسول بولس مثلاً احتمل آلام شديدة من أجل إنجيل المسيح الذى لم يكن يؤمن به فى البداية. ولقد مر فى اختبارات مدمرة، ليس فقط عذاباً جسدياً بل ونفسياً أيضاً. فعندما تُجلد من أجل جريمة لم ترتكبها هذا أمر مؤلم، ولكن بولس جُلِد خمس مرات بلا أى ذنب إلا الكرازة بالإنجيل، وفى كل مرة كان يُجلد ٢٦ جلدة من الخلف و١٣ من جلدة من الأمام على صدره بجلدات عنيفة. ليس الجلد فقط ولكن ثلاث مرات ضُرِب من السلطات الرومانية بالعصى الخشبية. وفى أحد المرات فى مدينة لسترا دبروا مؤامرة له وأحاطوا به ورجموه بالحجارة وجرحوه خارج المدينة ظانين أنه قد مات، وهل لك أن تتخيل مشاعر

شخص يُرجم؟ تخيل أن أحدهم ضربك بحجرصغير فى رأسك ستصاب بفزع ورعب، فكم بالحرى بولس، لقد كان جسده عبارة عن كتلة من الرعب، أصيب بجروح عميقة، وكدمات شديدة ليس لأى سبب سوى أنه أصبح مسيحياً. فلا تتعجب إذا كان قد قال بغضب لمن أنكروا رسوليته:"فيما بعد لا يجلب أحد علىَّ أتعاباً لأنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع(غلا٦:١٧).

إن كل من دخل السجن ولو لشهور قليلة اختبر قساوة السجن، وهناك من تحطمت حياتهم بسبب السجن. ولكن بولس مراراً وتكراراً كان يُسجن فى سجون روما لأجل إيمانه، وكم كان يلاقى العذاب والآلام فى سجنه، إذ بحسب المقاييس الحديثة يعتبر تعذيباً لا يمكن وصفه، فلقد وضعوا يديه ورجليه فى المقطرة حتى لا يستطيع أن يتحرك، لذلك أطلق على نفسه أنه"أسير فى سلاسل" و"أسير من أجل الرب يسوع".

وقد عانى بولس أيضاً من كوارث طبيعية. فيبدو أنه كان يعانى من مرض قاس لدرجة أنه قال عنه"وتجربتى التى فى جسدى لم تزدروا بها ولا كرهتموها "(غلا٤:١٤)،قال البعض إنه ربما كان يعانى من مرض فى عينيه وقال البعض الآخر إنه صرع، على كل حال كان يعانى من شوكة فى جسده. إلى جانب ذلك انكسرت به السسفينة ثلاث مرات فى البحر الأبيض المتوسط . وهل لك أن تتخيل مشاعرك عندما تكون فى سفينة تكاد أن تتحطم فى وسط البحر؟ وتخيل أن هذا يحدث له ثلاث مرات؟ وفى إحدى هذه المرات استمر بولس يوم كامل وليلة كاملة وهو عائم مع التيار قبل أن ينجو. هل لك أن تتخيل مخاطر انكسار السفينة طوال ليلة كاملة فى النهر، وبيأس تحاول أن تتعلق بحطام السفينة، وتحاول أن تسيطر على نفسك المنهكة. وساعة بعد الأخرى تزيد

المشكلة صعوبة، وتخاطر لتنقذ نفسك. فضلا عن ذلك كان بولس فى رحلة من رحلاته خارج الامبراطورية الرومانية ليكرز بالإنجيل يتعرض لمخاطر شديدة من الأعداء ومن الكوارث الطبيعية معاً. كان أمامه نهر خطر لابد وأن يعبره وفى نفس الوقت اللصوص يتوعدون له على الطريق. فى أى مكان سواء فى المدن، أو فى دولة أخرى أثناء رحلاته طالما هو يعظ بالإنجيل كانت تصرفاته مرصودة من الأعداء ويحاولون إنهاء حياته بأى طريقة. وكان أعداؤه من اليهود ومن الأمم ومن إخوته الكذبة، وكل مجموعة من هؤلاء كانت تمتلك أسباباً معينة للتخلص من حياته.

لقد كان بولس يعمل ساعات طويلة بجد واجتهاد وكان أحياناً لا ينام ، وأحياناً يعيش بلا طعام، وأحياناً كثيرة بلا حماية كافية بسبب الأعداء الذين يترصدون له. وبالرغم من ذلك كان يتحمل أعباء كل الكنائس التى أسسها بثبات، والتى كانت معرضة للخطر بسبب الهراطقة والمعلمين الكذبة. وفى النهاية حُكم على بولس بالإعدام ومات فى روما من أجل إيمانه. بالاختصار كانت حياته عناء لا يصدق وألماً شديداً لدرجة أنه وصفها مرة قائلاً:"فى صبر كثير فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات فى ضربات فى سجون فى اضطرابات فى أتعاب فى أسهار فى أصوام"(٢كو٦:٤ و ٥).لقد كانت حياة الرسل كلها آلام ومخاطر وضيقات، لقد افُترى عليهم، ولم يملكوا شيئاً فى العالم. ولم تمر هذه الآلام على بولس بسهولة ولكنه كان يعانى، لماذا ؟

لقد أدرك أن الطريق المؤلم هو الذى يفتح الباب للحياة الأبدية، وهو يريد أن يقطع هذا الطريق مع المسيح، لقد كتب قائلاً:"لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً. لأن خفة ضيقتنا الوقتية

تنشيء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى.لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية"(٢كو٤:١٦-١٨).

فهل نؤمن بهذا؟ إن هذا الرجل قال عن آلامه إنها "خفيفة... ووقتية"! لقد كان بولس يعيش حياته فى إطار الأبدية. لقد تخيل أن هناك ميزاناً وفي إحدى كفتيه الآلام والضيقات التى يعانيها فى هذا العالم، وفى الأخرى المجد الذى سيعطيه الله لأولاده، فرأى أن ثقل هذا المجد أعظم بالمقارنة بالآلام التى يجتاز فيها. وبالمثل طول هذه الحياة بكل ما فيها من ألم تبدو قصيرة جداً ومحدودة بالمقارنة بالحياة الأبدية التى سنقضيها مع المسيح. إن الأبدية التى سنقضيها مع المسيح تجعل الآلام التي نعانيها في هذه الحياة تنكمش أمامنا لتصبح كأقل من لحظة. وهذا ما جعل بولس يصوّر لنا آلامه الشديدة فى هذه الحياة بأنها "خفة ضيقتنا الوقتية ". ولم يكن بولس متبلد المشاعر أمام الناس الذين يتألمون ويعانون فى هذه الحياة، بل على العكس كان واحداً منهم، ولكنه رأى أن هذه الآلام مشمولة بالمراحم الإلهية الأبدية، وهناك الفرح والمجد الأبدى الذى أعده الله لكل من يثق فيه. إن ما يجعل مشكلة الألم قاسية وصعبة الفهم علينا اليوم هو لأننا لا ندرك هذا المفهوم، ولكى نعيش عبارة الرسول بولس يجب أن لا ننظر إلى الأشياء التى ترى بل إلى الأشياء التى لاترى لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية(٢كو٤:١٨). إننا فى مرات نكون كالمحاسب السكران ونخطيء في أصغر حسبة ونقول(سنعيش الحياة مرة واحدة ولذلك يجب أن نستمتع بكل لحظة فيها). وهذه نظرة سطحية وأنانية للحياة. فلا عجب إن كنا لا نفهم لماذا يسمح الله بألم، ونقول:إنها تحطم سعادتنا! حتى

نحن المؤمنين تشربنا هذا الاتجاه العالمي. إن ضغوط الحياة كثيرة وثقيلة ولذلك عندما نكون في وسط دوامات الحياة ننسى أن نرفع أعيننا من خلف الغيمة ونتأمل فى الحياة الأبدية التى ننتظرها بعد هذه الحياة.

عندما نتذكر أن حياتنا لا تنتهى عند القبر، وفى السماء "سيمسح الله كل دمعة من عيوننا، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد" (رؤ ٢١ : ٤)، وسيكون المؤمن فى ملء الفرح السماوى والمجد الإلهى عندها ستصبح مشكلة الألم تافهة جداً. وكما قال تولستوى (Tolstoi): "الله الحق ولذلك انتظر"، "ففى النهاية سينعم المؤمن بالمكافأة الإلهية وسيعوضه الله عن آلامه هنا أكثر مما يتوقع.

إن هذه هى أعظم عطية يغمرنا بها الله، وهى عنصر أساسى فى إجابة المسيحية على هذه القضية. فمعرفة الله هى الخير الأعظم للإنسان. وعندما أختبر المسيح هذا يؤهلنى لكى أربح الحياة الأبدية في السماء، وهذا يستحق من كل منا فى الحياة الأرضية، حتى ولو طلب منا النسك الشديد وإنكار الذات واحتمال الألم، ولكن الله فى رحمته لا يطلب منا أن نفعل هذا، بل وبدلاً من ذلك هو يملأ حياتنا بالسلام، والفرح، والمحبة، والمعنى، والهدف. ولذلك فإن معرفة الله هى الخير الذى لا حدود له، النعمة التى لا نستحقها، فبحسب الفكر المسيحى كنا نستحق الانفصال الأبدى عن الله، ولكن الله فى محبته وهبنا أن نعرفه فى شخص المسيح. وهكذا يجب أن تكون غاية كل إنسان أن يعرف الله الآن لكى يتمتع به إلي الأبد. فالشخص الذى يعرف الله فى المسيح لا يجد مشكلة فيما يعانى من ألم، ولايجد صعوبة فى كيفية احتمال الألم، ويستمر يقول بصدق: "إن الله صالح لى" على الأقل بموجب الحقيقة التى أدركها وهى أن

الله هو الخير الأعظم للإنسان.

والآن ربما لا نعرف لماذا يسمح الله لنا أن نجتاز فى بعض الآلام المعينة؟ ولكن لماذا نحاول أن نعرف؟ تذكر صندوق يورك لرصد الأخطاء "York Signal Box Mistake" الذى حدثتك عنه فى فصل سابق، فنحن لسنا فى برج التحكم، ولا يجب أن نتوقع أننا نقدر أن نعرف بالتفصيل لماذا يسمح الله لنا بهذه الآلام؟ أو كيف ندخل ضمن خطته لنا؟ وأقول أكثر من ذلك أننا لا يجب أن نسأل لماذا؟ فلقد دعينا لنثق فيه وفى صلاحه ولا تؤثر علينا الظروف. وهذا ليس إيماناً أعمى، بل تسليم عن يقين فى محبة الله لنا، وشهادة الروح القدس فى داخلنا. فنحن لم نُدعَ لنعرف بالتفصيل لماذا يسمح الله لنا بالألم، ولكن دعينا لنثق فيه.

وفى تصورى أن هذه هى الرسالة الحقيقية لسفر أيوب. لقد ظللت سنين عديدة لا أحب سفر أيوب، لأنه لا يشرح لماذا يسمح الله بالشرور التى تحدث فى العالم. فلقد أجاب الله على أيوب من العاصفة، ولكنه لم يشرح أى شىء. ولكنى أعتقد أننى استطعت أن أفهم حكمة سفر أيوب، فلقد كان الله يريد أن يقول له: "أنت لا تحتاج أن تعرف لماذا أنا أسمح بالشرور والألم الذى فى العالم، فهذا هو دورى. إن ما تحتاج إليه هو أن تتعلم أن تثق فىّ بالرغم من كل شىء".

وهذا ما فعله أيوب، لقد قال: "هوذا يقتلنى. لا أنتظر شيئاً. فقط أذكى طريقىَ قدامه" (أى١٣: ١٥). وقد عوضه الله أكثر مما كان يتوقع. صحيح هناك الكثير من الآلام فى العالم لا يوجد فيها أى فائدة أرضية، وهى بأسباب بشرية كاملة، ولكن عندما يسمح الله ببعض الآلام فإنه سيعوض أولئك الذين

يتحملون بصبر وإيمان وثقة فيه.

وهكذا نستطيع أن نجد فى المفهوم المسيحى عناصر عديدة تساعدنا فى فهم مشكلة الشر الأخلاقى الموجود فى العالم. فهدف الحياة الإنسانية ليس فقط السعادة ولكن معرفة الله. ولكى يقودنا إلى علاقة قوية وعميقة معه يمكن أن يسمح لنا ببعض الآلام فى هذه الحياة. وربما لا يكون لهذه الآلام أى فائدة جسدية أرضية فى هذه الحياة، ولكن ربما تكون دعوة لمزيد من الثقة فيه، إلى جانب المكافأة السماوية الأبدية والتى هى أعظم من أن تقارن بالآلام المحيطة بنا من ناحية الدوام أو المجد.

ولكن ماذا عن الكوارث الطبيعية؟ مرة ثانية أقول إن هناك عدة مبادىء فى المفهوم المسيحى يمكن أن تساعدنا فى فهم هذه المشكلة. ولنبدأ ونقول إنه من المهم أن ندرك أن الكوارث الطبيعية متشابكة مع الشرور البشرية الأخلاقية، تخيل أن العالم لا يوجد به شر أخلاقى، وأن كل شخص يسلك بحسب تعليم المسيح فكم سيكون عالماً رائعاً! فإذا امتنع المطر عن اثيوبيا سيسرع العالم كله لمساعدة الشعب هناك لئلا يعيشوا فى مجاعة. وستوزع ثروة العالم على كل الدول، بدلاًمن أن يكون هناك شعوب تعيش فى تعظم معيشة وأخرى تموت جوعاً. وكنتيجة لذلك يمكن للأمراض أن تقل، والعناية الطبية ستكون متاحة ومتوفرة بشكل أسرع وأفضل، وسيعيش الناس فى بيوت لائقة بدلاً من السكن فى عشش أو مخيمات، أو مساكن ضعيفة، يمكن أن تسقط أمام أى كارثة طبيعية. فكرأيضاً فى المحبة والعناية التى يمكن أن تُقدم لأولئك المتألمين! بالطبع الكوارث الطبيعية ستستمر ولكن إذا لم يكن هناك فساد أخلاقى ،ستختفى الكثير من نتائج الكوارث الطبيعية أو تقل بصورة كبيرة.

ثانيا قد يرى البعض أن العالم به كوارث طبيعية لا مبرر لها، ولكنها قد تكون ضرورية لبعض الناس ليقتربوا من الله ويعرفوه. فقصد الله لجميع الناس أن يعرفوه بحريتهم وبدون إجبار، فربما بعض الكوارث التى يرى الناس أن لا قيمة لها بهدف أن يرجعوا إلى الله، من يعلم؟ فربما خلق الله العالم وهو يحتوى على كوارث طبيعية، قد لا تفيد البعض، ولكنها تسهم مع البعض إن تجاوبوا بطريقة صحيحة فى معرفة الله والإيمان به والتسليم الكامل له.

أخيراً نقول إن نفس الشيء الذى ذكرناه عن الكوارث الطبيعية، نذكره عن الشرور الأخلاقية. فربما خلق الله العالم بموجب قانون ونظام معين، وعندئذ فإن كل شيء يسير بموجب هذا النظام.

بالطبع ،الله هوالذى يتدخل أحياناً ويصنع معجزة، ولكن هذا هو الاستثناء وليس القاعدة،وعندما يسمح ببعض الشرور الأخلاقية والآلام فذلك بقصد منه، ولا شك فى أنه سيعوض أولئك الذين احتملوا بإيمان هذه الآلام. لذلك ربما لا يتدخل الله بطريقة ملموسة فى معظم الحالات ليمنع الآلام، ولكن هذا لا يعنى أنه بعيد عنا، لأنه بروحه القدوس يقوّى ويعزّى المتألمين.

من خلال هذه النظريات المتنوعة التى تشكل عناصر الفكر المسيحى،وأحد العناصر التى تقوم عليه الاحتمالية،أن الله موجود وبذلك يكون الشر موجود فى العالم،وهنا نجد حلاً للمشكلة الاحتمالية للشر.

ولكن دعنا نتقدم بتحديد أدق ونسأل كيف نطبق هذه النتائج على الحادثتين المفزعتين اللتين رويتهما، ويصوِّر لنا مشكلة الشر: الطفل المكسيكى الذى مات ببطء شديد تحت الأنقاض،والطفلة الكولمبية التى غاصت فى الطين وماتت.

أولاً كلا الحادثتين نرى فيهما تضافر الكوارث الطبيعية مع الخطايا الأخلاقية البشرية. ترى فى أمريكا اللاتينية جشع وظلم الطبقة الأرستقراطية، وذلك فى فى شهوة امتلاك الثروة والقوة كما تستغل الطبقات الفقيرة،وتتركها فى حالة جوع وفقر شديدين. إن آلام هذين الطفلين هو نتيجة غير مباشرة لهذا الفساد وللنظام الغير مسيحى، لأنه لو أن هذه المجتمعات التى كان الطفلان يعيشان فيها تعيش بحسب المبادىء المسيحية الكتابية، فإن هذه العائلات لم تكن قد أرغمت بسبب الفقر على أن تعيش فى مساكن غير آمنة، بنيت فى أماكن غير ملائمة،وضعيفة جداً مما جعلها تتحطم بسبب الزلازل أو السيول. ولو أن المجتمع كان متحرراً من الخطية لما كنا سمعنا عن مثل هذه المواقف التراجيدية. فهنا يتحمل الإنسان هذه الآلام.

لماذا سمح الله لهذين الطفلين أن يتألما كذلك؟ أنا لا أعلم. ربما من خلال الموت المأساوى لهذا الطفل أراد الله أن يعرّف السلطات المكسيكية أنهم فى احتياج لمقاييس جديدة للبناء فى المستقبل تناسب الأرضية، وبذلك ينقذ نفوساً كثيرة من أحداث مثل هذه فى المستقبل. وربما سمح بهذه الكارثة لكى تفيق السلطات الحاكمة وتواجه أخطائها. وربما سمح بهذا من أجل أشخاص آخرين يواجهون الموت أو المرض الشديد في بعض المستشفيات، وعندما يشاهدون هذه الأخبار فى التلفزيون يُلهَمون من شجاعة الطفل فى مواجهة الموت بإيمان وبسالة. وربما سمح الله لفتاة كولمبيا أن تغوص فى الطين وتتألم وتموت لأنه يعرف أن هذا الموقف فقط هو الذى سيجعل عائلتها وربما آخرين يرجعون إليه بتوبة وإيمان. وربما سمح بهذا لأنه يعرف أنه فى حادث مثل هذا قد تتحرك العائلة لتعيش فى مكان آخر وتقدم رسالة المسيح هناك. نحن لا نعلم بالضبط.

وربما لم يكن هناك أى فائدة أرضية جعلت الله يسمح بهذه الكوارث. وربما لم تحقق أى فائدة زمنية فى أى مجال. فربما كانت هذه الكوارث نتيجة طبيعية لحركة الأرض الجيولوجية، ونتيجة لقانون الأجواء الجوية، وكانا هذين الطفلين هما الضحية. سمح الله بهذه الآلام فى حياة هذين الطفلين،لكى يتجها هما وعائلتيهما إلى الله بتسليم واتكال أعمق عليه. نحن لا نعرف بالضبط لماذا يسمح الله بهذه الآلام؟ ولكن ما أعرفه هو الآتى:إنه عندما يفارقان هذه الحياة وينتقلان إلى الحياة الأخرى سيجد يسوع يضمهما بذراعى المحبة، ويمسح دموعهما، ويغمرهما بفرح وسعادة أبدية بعد أن يقول لكل واحد منهما: "نعمّا أيها الطفل الصالح، ادخل إلى فرح سيدك". وفى غمرة السعادة الأبدية سيعرفان مقدار وثقل المجد الأبدى الذى أُعد لكل واحد منهما بالمقارنة بما سمح الله لهما من ألم فى هذه الحياة. ولذلك فالطفلة التى أساء والداها التصرف معها فى قصة «الإخوة كرازاموف» وجاء على لسان إيڤان أنها عُذبت وضُربت وجُلدت وصرخت"إلهى أين أنت" فهل هذه هى النهاية؟ كلا فهناك حياة لا تنتهى بعد ذلك ولا شك فى أن الله سيعوضها ويباركها وتدخل إلى مجده الأبدى، لقد كانت نظرة إيڤان نظرة ضيقة ومحدودة فى هذه الحياة وفى تمرده على الله وجد أن الحياة أسوأ من أن تُعاش.لذلك يبدو لى أن التفسير الاحتمالى للشر قد أجيب عليه تماماً وأكرر ما سبق وذكرته، فلقد رأينا أولاً أنه حتى لو لم نجد إجابة على الاعتراض المقدم فهذا لا يعنى استحالة وجود الله، لأن لدينا عشرات الأدلة والبراهين على وجود الله، بل ووجود الشر نفسه بكل ما فيه من جوانب سلبية هو دليل على وجود الله، إلى جانب شهادة الروح القدس فينا لوجود الله.

إلى جانب أن فكرة الا حتمالية فكرة غامضة وتختلف من شخص لآخر، ونستطيع أن نقول بصفة خاصة إنه من الصعوبة البالغة أن نستنتج من وجود أى نوع من الشر استحالة وجود الله،ولأن لديه الأسباب الأخلاقية الكافية التى تجعله يسمح بمثل هذه الشرور. وبذلك يكون المعترض فى موقف ضعيف ولا يستطيع أن يحكم حكم قوى. وأخيراً رأينا أن الله والشر يمكن أن يوجدا معاً،وخاصة عندما ندرس وجهة النظر المسيحية، فقصد الله النهائى للإنسان هو أن يعرف الله ويتمتع بالحياة الأبدية معه، فالحياة الأرضية ليست هى كل شيء بل بعد الحياة هناك المكافأة وهناك أيضاً العقاب. وفى الحقيقة نحن لا نستحق معرفة الله، ومعرفة الله هى الخير الأعظم للإنسان، والله يريد بكل الطرق أن يوجه أنظار الناس إليه ليعرفوه.

ولكن تبقى نقطة أخيرة وهى واضحة جداً لى وتدحض مشكلة الشر تماماً وتقدم حلاً قاطعاً لها، وما أعنيه، هو أننا نستطيع أن نستنتج من وجود الشر فى العالم برهاناً قاطعاً على وجود الله. نعم أن أومن بذلك، فهذه حقيقة باتت واضحة لى جداً عندما كنت أقيم ندوات للشباب فى العديد من جامعات شمال أمريكا، وكنت أتحدث عن"سخف الحياة بدون الله".وفى هذه الندوات حاولت أن أبين أنه إذا كان الله غير موجود فستصبح الحياة بلا غاية نهائية، وبلا قيمة، وبلا معنى، لأنه بعيداً عن الله لا يوجد مقياس للقيم، وستصبح القيم الأخلاقية مجرد مصطلحات جوفاء لا معنى لها، أو مجرد مصطلحات اجتماعية نتعلمها من أجل هدف المعيشة معاً. وكانت خلاصة ما قدمت دليلاً سلبياً: لم أحاول أن أبرهن على وجود القيم، ولكن أثبت أنها لا يمكن أن توجد بدون الله.ولقد وجدت مرة أخرى عدة اعتراضات، لقد قالوا إننا نستطيع أن نظهر

القيم السلبية وأنها موجودة (مثلاً التمييز العنصرى، أو إساءة استخدام الأطفال هى قيم سلبية، بينما محبة القريب شيء جميل). ونحن نعرف أن هذه القيم موجودة وكنا نعرف أن الله موجود أو غير موجود. ولكن يبدو واضحاً أن الاعتراضات التى قدمها الطلبة لا تتعارض مع أى شيء ذكرته.

ففى الحقيقة يعلمنا الكتاب المقدس أن الأمم الذين لا يعرفون الله، يعرفون ناموس الله (رو٢: ١٤، ١٥). وخبرتى أضافت لىّ أننا جميعاً نفعل أفعالاً ونحن ندرك أنها إما صواب أو خطأ، فالقيم موجودة، والخلاصة هى أن ما قاله الطلبة أُضيف لبرهانى وأصبح البرهان السلبى برهاناً إيجابياً كالآتى:

١- اذا كان الله غير موجود فحينئذ القيم غير موجودة.

٢- الشر موجود.

٣- لذلك فالقيم المحسوسة موجودة.

٤- الله موجود.

الخطوة الأولى ناقشناها واتفق عليها كل من المؤمنين المسيحيين والملحدين على السواء. والخطوة الثانية هى أساس نفسها. والخطوة الثالثة هي خلاصة المناقشة وقدمها طلبة الجامعة والذين رأوا أن الشرور فى العالم أخطاء ملموسة. والخطوة الرابعة هي النتيجة المنطقية للمناقشة: بما أن القيم لا توجد بدون الله، وأن القيم المحسوسة موجودة (كما شرحنا عن الشر الموجود فى العالم) فينتج عن ذلك أن الله موجود.

ولذلك فالشر فى العالم يبرهن على وجود الله.

إذا كان هذا الحوار صحيحاً- وأنا أعتقد أنه كذلك- فهذا يعطى تفنيداً قاطعاً لمشكلة الشر. إلا أن هذا البرهان يتم بدون محاولة لإعطاء تفسير لأسباب وجود الشر، فمثل أيوب ربما نجهل السبب ومع ذلك فإن وجود الشر فى العالم يدل على وجود الله.

لذلك أستطيع أن أقول فى النهاية إننا استطعنا أن نتغلب على مشكلة الشرور ونقدم إجابات كافية سواء للتفسير المنطقى أو الاحتمالى.

ولكن بالطبع عندما أقول إننا قدمنا "إجابة " فأنا أقصد أنها" إجابة فلسفية"، فكل هذه الحجج العقلية ربما لا تريح الشخص المتألم إلا قليلاً، وخاصة الشخص الذى يتألم بشدة من بعض الشرور، يرى أنها بلا مبررات. أتذكر إننى قرأت عن جونى إريكسون(Joni Earekson Tada) فعندما أُصيبت بالشلل وتألمت كثيراً لذلك، وجاء عدد كبير من الناس لزيارتها فى المستشفى، وبدأ كل واحد يقدم تفسيره لماذا سمح الله لها بذلك؟ وكانوا مخلصين فى تقديم ما شرحوه، ولكنهم كانوا بالنسبة لها كمعزىّ أيوب، وبتفسيراتهم المنطقية(والقليل منها كان رائعاً) وكانت باردة وغير مشجعة ،لأن جونى كانت مجروحة عاطفياً، وهم يقدمون لها أدلة منطقية. ولذلك فهذا يقودنى للجانب الثانى من المشكلة والتى أريد أن نناقشها وهى:المشكلة العاطفية للشر.

فهناك الكثيرون يرون أن مشكلة الألم بالنسبة لهم ليست مشكلة منطقية بالمرة بل مشكلة عاطفية. فهم يتمزقون ألماً من الداخل وربما هذا ولَّد مشاعر مرارة فى داخلهم تجاه الله الذى سمح لهم أو لأقربائهم بأن يتألموا بهذه الصورة. ولا يعطون اهتماماً للحلول الفلسفية والمنطقية لمشكلة الألم، بل لماذا يتألمون

بهذه الصورة. ولا يعطون اهتماماً للحلول الفلسفية والمنطقية لمشكلة الألم، وربما يرفضون الله الذى يسمح بمثل هذه الشرور التى نراها فى العالم. ومن المهم جداً فى رواية ديستيوفسكى (Brothens Karmazov)أن الشر تقهقر فعلياً. فوجدنا أن "ايفان" لم يفهم الجواب المسيحى لمشكلة الألم، إلى جانب أنه رفض أن يحدث مثل هذا من إله المؤمنين. واضح أنه يعانى من الآلام التى بلا مبرر وهذا قاده للإلحاد.

ماذا نقول لمن يعانى من المشكلة العاطفية للألم؟ أعتقد أن الشىء المهم هو ليس ما سنقوله، ولكن الأهم أن نكون للمتألم الصديق المحب والمصغى بعطف واهتمام. ولكن ربما يكون هناك بعض الناس يحتاجون إلى مشير متخصص، ونحن عندما نجتاز فى الألم نحتاج الى معز ومشجع. فهل يملك الإيمان المسيحى أى شىء ليقوله فى مثل هذه المواقف؟ بالتأكيد نعم، فالله ليس هو مجرد طبيب الأسنان الذى يرانا نتألم ولا يستطيع أن يخفف الألم، وهو ليس مجرد الخالق، وإله غير شخصى، إنه آب محب يشاركنا آلامنا ويتألم معنا.

لقد كتب الفيلسوف المسيحى المعاصر ألفن بلانتينجا(Alvin Plantinga) قائلاً:كمسيحى أقول إن الله لا يقف جامداً ساكناً يلاحظ ببرود آلام خليقته، بل هو يتدخل ويشاركهم آلامهم. لقد عانى الألم وهو يشاهد ابنه الأقنوم الثانى فى اللاهوت وهو يعانى آلام الصليب المُرة، والموت المُخزى على صليب العار. يعتقد بعض اللاهوتيين أن الله لا يتألم. أعتقد أنهم مخطئون، ولكن قدرة الله على الألم تناسب عظمته، إنها تتجاوز قدرتنا على الألم بما لا يقاس، كما أن قدرته على المعرفة تتجاوزنا. لقد تحمل المسيح المعاناة وآلام قوى الجحيم

نفسها، فالله تألم، وهو إله المسكونة، عندما كان ابنه يعانى الذل ومعاناة الموت. لقد قبل الآلام ليقهر الخطية، والموت، وقوى الظلمة التى لوثت عالمنا، لكى يهبنا حياة أمجد وأعظم مما نتخيل.لذلك نحن لا نعرف لماذا يسمح الله بالألم. ولكن نعرف أنه تألم نيابة عنا، وقبل الألم المريرالذى كنا نستحقه نتيجة أفعالنا الشريرة التى كنا نفعلها بلا إدراك.

أتذكر قصة سمعتها عن ثلاثة أشخاص وقفوا وسط الجموع الغفيرة أمام عرش الله فى يوم الدينونة، وكل منهم نال شرف الوقوف أمام الله، فقال الأول وهو يشكو بمرارة: "لقد حُكِم عليَّ بالإعدام شنقاً عن جريمة أنا لم أرتكبها". وقال الثانى: "لقد مت بسبب مرض عذبنى لشهور طويلة وتركنى محطماً جسدياً وروحياً ونفسياً". وتمتم الثالث: "مات ابنى فى ريعان شبابه على أثر حادث أليم بسبب مجموعة من الشباب الفاسدين، والذين ألقوا به من على العربة التى كان معهم فيها".

وكان كل واحد منهم حزين وقلق وهو يحدث الله بجرأة وصراحة ولكن حالما وصلوا إلى العرش، ورأوا نتيجة أفعالهم وخطاياهم واضحة أمامهم فى أثار المسامير فى يديه ورجليه وجنبه المطعون وقف كل واحد منهم بأسف وحزن، وتوقف فم كل وحد فيهم عن الكلام وسجدوا بصمت أمامه.

وكما ترى أن يسوع تحمل الألم والمعاناة، لقد تحمل عقاب خطايانا بل خطايا كل العالم، ولا يستطيع أحد أن يدرك أبعاد هذا الألم، لقد كان بريئاً، وتحمل طواعية عقاب خطاياى وخطاياك،ولماذا؟ لأنه يحبنا كثيراً جداً فكيف نقدر أن نرفضه وهو قد أعطانا كل شيء؟ عندما ندرك كيف قدم نفسه ذبيحة

على الصليب من أجلنا وهو الذى بلا خطية، وعندما ندرك عمق محبته لنا سنرى مشكلة الألم فى إطار مختلف تماماً.إننا الآن لا نرى مشكلة الألم إلا من خلال آلامنا نحن، ولا نعطى اهتماماً لخطايانا وفسادنا أمامه.إن السؤال الذى يجب أن نواجهه الآن ليس كيف يبرر الله لنا الآلام التى يسمح بها لنا ، ولكن كيف نتبرر نحن أمامه. لو أدركنا أن المسيح البار تألم من أجلنا ليقودنا إلى معرفة الله المخلّصة ، حينئذ بالتأكيد سنتحمل الألم الذى يسمح لنا به فى الحياة. فكر فيما احتمله من أجلك لأنه يحبك، وأنت ستستطيع أن تحتمل بسهولة وتثق فيه عندما تسير فى طريق الألم.

وفى النهاية أقول إنه إذا كانت مشكلة الشر والألم هى أكبر اعتراض على وجود الله، فإنى أقول إن الله هو الحل الوحيد لمشكلة الشر والألم. وإذا لم يكن الله موجوداً عندئذ سنعيش بدون أمل ونموت بدون رجاء، وتمتلىء حياتنا بالألم الذى لا فائدة منه ولا مبرر له. لقد قال برتراند رسل مرة:"لا أحد يجلس بجوار سرير به طفل يصارع الموت ويؤمن بوجود الله، ولكن ما هو الرجاء الذى يمتلكه رسل ويستطيع أن يقدمه بعيداً عن الله؟ الجواب هو:" لا يوجد لأنه أدرك أنه بهذه النظرة الملحدة ستكون الحياة قائمة على أساس اليأس المحبط"[1].إن الله هو الجواب النهائى لمشكلة الألم لأنه افتدانا من الشر ونقلنا إلى الفرح النهائى، الخير الذى لا حدود له من خلال الشركة معه.

---

[1]Bertrand Russell, A free Man's Worship,In Mysticism And Logic(London:Longmans Green,1918),PP.47- 48

الفصل السادس

جهنم

"ليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص" (أع٤:١٢)، هكذا أعلن كل الرسل ووعاظ الإنجيل الأوائل. وهذا الفكر يسود كل العهد الجديد،وكان له الدور الفعال فى بدء الإرسالية للأمم. ولقد دعا بولس الأمم الذين بشرهم أنهم كانوا قبلاً بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لهم وبلا إله فى العالم"(أف ٢:١٢).

ويوضح الرسول بولس فى الأصحاحات الأولى من رومية أن هذا الموقف المرعب لم يكن موقف الأمم فقط بل موقف كل الجنس البشرى،فمع أنه أعلن عن قدرته السرمدية ولاهوته من خلال الطبيعة(رو١: ٢٠)،ومع أنه يقدم الحياة الأبدية لكل من يطلبه بصبر فى العمل الصالح(رو٢:٧) إلا أن الناس بصفة عامة حجزوا الحق بالإثم، وتجاهلوا الخالق، وحمقوا فى أفكارهم، واظلم قلبهم الغبى(رو١:١٨-٢١)، وتعدوا الناموس الأخلاقى(رو١:٣٢)، ولذلك يقول الرسول بولس " إن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية.كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد، ليس من يفهم، ليس من يطلب الله، الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد"(رو٣:٩-١٢). لقد أصبح الجميع تحت الخطية، والخطية جعلت الكل فى احتياج لغفران الله وخلاصه. فلقدأصبح الجنس البشرى كله تحت الخطية وفى موقف المذنب أمام الله، وأصبح الجميع تحت الدينونة وعاجزين عن خلاص أنفسهم بالأعمال الصالحة(رو٣:١٩و٢٠)، ولكن الله فى نعمته دبر وسيلة الخلاص من الدينونة من خلال ابنه يسوع المسيح، فبموته الكفارى فدانا من الخطية، وبررنا أمام الله(رو٣:٢١-٢٦).

فغفران الله أصبح للجميع من خلال يسوع، ويسوع فقط(رو٥: ١٢-٢١).
لذلك فإن رفض يسوع المسيح يعتبر بمثابة رفض لنعمة الله وغفرانه، ورفض لوسيلة الخلاص التي يقدمها الله. فكل من يرفض خلاص الله سيبقى تحت الدينونة، ويفقد الخلاص الأبدى، لأن يوماً ما سيدين الله كل من يرفضه ويعاقبهم"في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يعطون إنجيل ربنا يسوع المسيح. الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب ومن مجد قوته"(٢تس١: ٨ و٩).

ولم يكن بولس فقط هو المتمسك بمركزية المسيح فى الخلاص، فالرسول يوحنا أيضاً أعلن ذلك وقال إنه لا خلاص بدون المسيح،ففى إنجيله يعلن قول المسيح"أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى" (يو ١٤: ١٦). ويشرح يوحنا كيف أن الناس أحبوا الظلمة أكثر من النور، ولكن الله أرسل ابنه إلى العالم ليخلص العالم، وليعطى حياة أبدية لكل من يؤمن بالابن."الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"(يو ٣: ١٨). فالناس بعيداً عن المسيح أموات بالذنوب والخطايا ،ولكن كل من يؤمن بالمسيح ينتقل من الموت إلى الحياة" (يو٥: ٢٤). ولقد أكد الرسول يوحنا فى رسائله أن كل من ينكر الابن لا يكون له الآب، ولقد وصف كل من ينكر الابن بأنه ضد المسيح(١يو٢: ٢٢ و٣٣ ،٤: ٣، ٢يو٧).وبالاختصار"من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة "(١يو٥: ١٢).ويذكر يوحنا فى سفر الرؤيا أيضاً عن المسيح أنه الحمل الذى لا يوجد غيره فى السماء أو الأرض أو تحت الأرض من هو مستحق أن يُمسك السفر ويفتح ختومه السبعة ، لأنه بدمه قدم فداء لشعب الله والذى

يتكون من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة(رؤ٥ : ١-١٤) ،وفى النهاية كل من لا يوجد اسمه مكتوباً فى سفر الحياة سيطرح فى بحيرة النار الأبدية(رؤ ٢٠ : ١٥) .

ونفس هذه الفكرة السابقة تتكرر فى كل رسائل العهد الجديد، إنها صلب فكر العهد الجديد" لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع"(١تى٢ : ٥ , ٦).

وفى الحقيقة كان هذا هو الفكر الذى أعلنه يسوع نفسه. فلقد جاء بسلطان إلهى لا مثيل له، السلطان الذى جعله يقف بكل شجاعة ويدعو الناس للتوبة والإيمان، إلى جانب أنه أعلن أنه هو نفسه موضوع الإيمان، فهوإعلان الله النهائى "كل شىء قد دفع إلىّ من أبى وليس أحد يعرف الابن إلا الآب.ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له"(مت١١ : ٢٧) .وفى يوم الدينونة الرهيبة سيتحدد مصير كل إنسان بناء على مدى تجاوبه مع دعوة المسيح على الأرض" كل من اعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومن أنكرنى قدام الناس يُنكر قدام ملائكة الله"(لو ١٢ :٨ و٩) . ولقد كان يسوع يحذر الشعب مراراً وتكراراً من الجحيم، ولقد كان يعلم أن قليلين هم الذين يخلصون وأن الأغلبية ستدان، فلقد قال"ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه"(مت٧ :١٣ و١٤) .

بلا شك أن هذا التعليم صعب، ولكن هذا هو فكر العهد الجديد وهو ملزم وحتمى، فعمومية الخطية من جانب وذبيحة المسيح الكفارية الوحيدة من الجانب

الآخر يؤكد لنا أنه لا خلاص بعيداً عن المسيح.

ولقد انتصرت المسيحية في بداية عهدها في كل أرجاء الامبراطورية الرومانية، وتراجع الفساد ، ولكن استمر البعيدون عن المسيح في موقف مشين. ولكن بالرغم من ذلك كانت واحدة من سمات الكنيسة الرئيسية في تلك الفترة هي جامعيتها ، وكان لهذه الفترة رجالها مثل القديس أغسطينوس وتوما الأكويني وغيرهما. وقد كانت جامعية الكنيسة واحدة من العلامات البارزة والتي تعطي انطباعاً بأن الكتب المقدسة هي الإعلان النهائي،لأن الكنيسة الجامعة، وهي مؤسسة عظيمة وضخمة، تؤمن بالكتب المقدسة، وهي لا يمكن أن تؤسس على باطل، بل على الحق مما ساعد على انتشار المسيحية في كل أرجاء العالم لكل الأعراق والجنسيات، لأن الخلاص مقدم للجميع.

لاشك أنه أصبح واضحاً أين تكمن المشكلة بالضبط. فالمشكلة من وجهة نظري لا تكمن في كيف أن الله المحب يلقي مجموعة من البشر في جهنم، لأن الكتاب المقدس يوضح لنا أن الله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون(١تي٢ : ٤ ،٢بط٣ : ٩). ولذلك فإن الله من خلال عمل الروح القدس يوجه الناس لنفسه ويدعوهم لأن يتوبوا ويكفوا عن الخطية. ولذلك فإن أي شخص يتخذ قراراً برفض المسيح فهو يقرر مصيره بنفسه تحت الدينونة، ولا يُعتبرعذابه ودينونته مسئولية الله، لأن الله لا يرسل أي إنسان إلى الجحيم، فالناس يقررون بأنفسهم ذلك. وليست المشكلة هي في كيف أن الله المحب يلقي أناساً في الجحيم بالرغم من أنهم لم يسمعوا شيئاً عن المسيح أو عن الإنجيل. لأن الله طيب، وبحسب ما جاء في رسالة رومية الأصحاح الأول والثاني، هو لا يحاسب أولئك الذين لم يسمعوا عن المسيح بنفس المقياس الذي

يحاسب به الذين سمعوا عنه. فمن الظلم أن يدان إنسان لعدم الايمان المسيحى وهو لم يسمع مطلقاً عن شخص اسمه يسوع. ولذلك فإن الرسول بولس يعلن أن الله سيحاسبهم بحسب النور الذى وصل إليهم، فلقد أعلن الله عن نفسه لكل البشرية من خلال الطبيعة والضمير. ولقد أعلن أن كل البشرية يمكن أن تعرف الله من خلال الطبيعة، ويمكن أن يعرفوا ناموس الله الأخلاقى من خلال الضمير، وبذلك يعرفون أخطاءهم ويبتعدون عنها ويتوبون طالبين رحمة الله وغفرانه، فالذين بلا ناموس هم ناموس لأنفسهم.

ومن سوء الحظ أن الكتاب يعلن أن الناس لم يعيشوا بمقتضى هذه المقاييس. فلقد تجاهلوا الخالق، وعبدوا آلهة من صنع أيديهم، واستهانوا بالناموس الأخلاقى وانغمسوا فى الفجور. ولذلك فحتى لو أن دينونة الله بأقل المقاييس عن التى أُعلنت فى الكتاب المقدس، فالغالبية العظمى من الجنس البشرى سيدانون أمام الله، وقلة قليلة سيعرفون الله،ويعيشون بحسب ناموسه الأخلاقى، وسيرجعون إليه بتوبة وإيمان، وبذلك يتمتعون بفوائد دم المسيح ويخلصون. وللأسف فإن معظم الناس سيختارون طريق الخراب والفساد رغم إعلان الله عن نفسه من خلال الطبيعة ومن خلال الضمير الإنسانى، واختيارهم هذا بحريتهم والله ليس مسئولاً عن عذابهم الأبدى. ومن هنا تظهر المشكلة كما تبدو لى وهى: إذا كان الله كلى المعرفة كما أعلن لنا الكتاب المقدس ذلك ، وهو يعرف من قبل أن يخلق هذا العالم من سيقبل المسيح ويخلص، ومن سيرفض ويكون مصيره الهلاك الأبدى. وأمام هذه الحقيقة تظهر عده أسئلة وهى:

١- لماذا لا يعطى الله نوراً أكثر لمن يرفضون النور الذى أُعلن لهم؟

٢- والسؤال الأساسى هو لماذا خلق الله العالم وهو يعلم أن هناك أناساً كثيرون سوف لا يقبلون المسيح ويهلكون؟

٣-والسؤال الجوهرى هو لماذا لم يخلق الله عالماً فيه كل واحد يقبل المسيح بحرية إرادته ويخلص؟

بلا شك أن هذه الأسئلة صعبة! فماذا تجيب المسيحية على هذه الأسئلة؟ وهل تستطيع أن تجيب على هذه الأسئلة بحيث تجعل الله بعيداً عن أن يكون قاسياً وغير محب؟

لكى نجيب على هذه الأسئلة دعنا نحاول أن نفهم بأكثر دقة ما يكمن خلف هذه الأسئلة.

فى الحقيقة لا يوجد أى تناقض عندما نقول إن الله كلى القدرة، وكلى المعرفة، وكلى الصلاح، وهناك مجموعة لا تقبل المسيح. فهم يقولون إنه إذا كان الله به كل هذه الصفات الرائعة فيجب أن يخلص كل البشر. ولكن لماذا هذا الافتراض؟ فلا يوجد أى تناقض واضح عندما نقول"إن الله كلى القدرة، وكلى المعرفة، وكلى الصلاح وهناك بعض الناس سيرفضون المسيح، فلا شك فى أن المعترض يفترض بعض الفروض غير الواضحة بين السطور فى كلامه، فدعنا نفند هذه الافتراضات.

يبدو لى من كلام المعترض أن هناك افتراضين ضمنيين وهما:

١-إذا كان الله كلى القدرة فكان من الممكن أن يخلق عالماً فيه كل شخص يقبل المسيح بحرية إرادته.

٢- إذا كان الله كلى الصلاح كان يجب أن يفضل عالماً فيه يخلص كل إنسان، عن عالم فيه البعض سيهلك.

ولكن هل هذان الافتراضان صحيحان؟ لا أظن ذلك. دعنا ننظر فى **الافتراض الأول** وهو إذا كان الله كلي القدرة، كان يمكن أن يخلق عالماً فيه كل شخص يختار بحريته أن يقبل المسيح.

أنا أرى أنه على العكس من ذلك فطالما أن الله خلق الإنسان حراً فمن الممكن أن يكون هناك أناس يرفضون المسيح مهما كانت نوعية العالم الذى سيخلقهم فيه، ومهما كانت ظروف نشأتهم، ومهما سمعوا من عظات إنجيلية، ومهما شاهدوا من معجزات. فطالما أعطى الله الحرية للبشر فستكون هناك مجموعة تقبل الرسالة مهما تكن الظروف وتخلص، ومجموعة أخرى ترفض الرسالة وتهلك. ربما يقول المعترض: "نعم هذا صحيح، ولكن كان يجب على الله أن لا يخلق هذه المجموعة من البشر. فلماذا لم يمتنع الله عن خلق عالم به مجموعة فقط هى التى تقبل المسيح؟ولكن الإجابة الواضحة على هذا السؤال هو أن تفكر فى البديلين: كان من الممكن أن لا يخلق الله العالم بالمرة، وكان من الممكن أن يكون فى العالم الذى يخلقه الله بعض الأشخاص الذين يرفضون المسيح بحريتهم. ومرة أخرى أقول كان يمكن لله أن يجبرهم على أن يؤمنوا به، ولكن حينئذ سيكون نوعاً من الاغتصاب الإلهى. فالمحبة لله إن لم تكن بالحرية الشخصية تصبح محبة غير صادقة.

وهكذا طالما أن كل الناس أحرار، فلا يوجد أى ضمان لكى يؤمنوا به ويقبلوه بحريتهم. وهكذا يبدو لى أن الافتراض الأول السابق ذكره، والذى عليه

تأسس هذا الاعتراض لا قيمة له، فلا يدخل فى قدرة الله أن يخلق عالماً فيه كل شخص يجب أن يختار بحريته أن يقبل المسيح.

ولكن ماذا عن **الاعتراض الثانى** وهو إذا كان الله كلى الصلاح كان يجب أن يفضل خلق عالم يخلص فيه الجميع عن عالم سيهلك البعض فيه؟؟

ومرة أخرى أقول إن هذا الافتراض لا قيمة له. دعنا أولاً نسلم بصحة هذا الافتراض لكى نبرهن هذا الأمر. إن الله يمكن أن يخلق عالماً فيه يخلص الكل. ولكن ما هو شكل هذا العالم الذى سيفضّل الله أن يخلقه عن هذا العالم الذى فيه سيهلك البعض؟ نفترض أن الله سيخلق عالماً فيه الذين سيخلصون فقط، فسيكون هذا العالم من عدد قليل من البشر، لأنه إذا خلق عدداً أكبر من الناس فعلى الأقل سيرفض واحد منهم ويهلك.

وهل صلاح الله يلزمه أن يفضل خلق عالم به عدد قليل من البشر عن عالم متسع بالكثير من البشر الأحرار،منهم من بحريته يقبل المسيح ويخلص، ومنهم من بحريته أيضا يرفض المسيح ويهلك؟ لاأعتقد هذا. لماذا تعاق سعادة وفرح أولئك الذين قبلوا المسيح وخلصوا بسبب مجموعة من الناس احتقروا محبة الله وغفرانه بحريتهم؟ طالما الله يقدم نعمة غنية لكى يخلص كل البشر، أنا لا أرى أى نقص فى صلاحه لأنه فضل خلق عالم فيه بعض البشر سيرفضون الخلاص بحريتهم، عن عالم فيه الكل سيخلصون.

لذلك أرى أن كلا الافتراضين السابقين اللذين قدمهما المعترض غير صحيح. فكون الله كلى القدرة لا يجعله يخلق عالماً فيه كل شخص يقبل المسيح بحريته، ولكونه كلى الصلاح يلزمه بأن يفضل عالماً يخلص فيه الجميع عن

عالم فيه البعض سيرفض الإيمان. وبالطبع إذا سقط أحد هذين الافتراضين يصبح موقف المعترض ضعيفاً ،فكم بالحرى عندما يصبح الافتراضان ضعيفين، لذلك دعنا نتقدم خطوة أبعد من ذلك. فيمكن لنا أن نبرهن على أنه من المناسب جداً أن نعتقد أن الله كلى القدرة وكلى العلم وكلى الصلاح، وبالرغم من ذلك هناك كثيرون سوف لا يقبلون المسيح ويهلكون.

ونبدأ بأن الله صالح ومحب وهو يريد أن يخلص أكبر عدد ممكن، وأن يرفض أقل عدد ممكن. فهو لا يريد أن يخلق الكثير من الهالكين، وهدفه أن يحصل العدد الأكبر على الخلاص. وبكلمات أخرى هو يريد أن تمتلىء السماء بأكبر قدر ممكن من البشر، وأن يكون الجحيم فارغاً بقدر الإمكان. ويسعى لأفضل توازن بينهما.

ومن الممكن أن يكون هناك توازن حقيقى فى العالم. ولكن لكى يُخلق الكثيرون من الذين سيخلصون، لابد وأن يخلق الله الكثيرين أيضاً من الذين سيهلكون. ومن الممكن لكى يخلق الله عالماً به أقلية تذهب إلى الجحيم أن يكون عدد الذين سيذهبون إلى السماء قليلاً بنفس النسبة. ومن الممكن لكى يصل الله لخلق أكبر عدد من القديسين أن يخلق أكبرعدد من الخطاة.

ويمكن أن يعترض المعترض قائلاً: بما أن الله كلى الصلاح كان يجب أن لا يخلق أولئك الذين يعرف أنهم سيرفضون، ويخلق أولئك الذين يعرف أنهم سيقبلون فقط. ولكن هذا الاعتراض لا يزعجنى أبداً، فيجب أن نتذكر دائماً أن الله يحب كل الجنس البشرى الذى خلقه، وأنه يعطيهم نعمة كافية للخلاص. وفى الحقيقة هناك بعض الذين سيهلكون قُدمت لهم الرسالة أكثر من بعض

الذين سيخلصون، ولكن بحريتهم الشخصية رفضوا نعمة الله وسيهلكون، فالله يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

وربما يعترض شخص آخر قائلاً: إن الله كلى الصلاح فلماذا لم يخلق الذين يعرف أنهم سيهلكون فى ظروف مختلفة؟ ولكن الحقيقة أن هناك أشخاصاً لا يقبلون المسيح تحت أى ظرف. فحتى لو أن الله بدقة معينة وعناية خاصة عالم الذين سيرفضون، فسيرفضون أيضاً فى أى عالم يخلقهم فيه الله. فكم من الذين رفضوا عاشوا فى أفضل ظروف وأروع عناية. فلقد عاش الرب يسوع نفسه وسط اليهود واهتم بهم من كل النواحى وشفى مرضاهم وأقام الموتى أمامهم، وظهرت قوة الله فيه بشكل يفوق الوصف ومع ذلك رفضوه، بل وفى ساعة القبض عليه شفى أذن ملخس عبد رئيس الكهنة التى كان بطرس قد قطعها ،ومع ذلك لم يتراجعوا عن قرارهم. وهكذا خلق الله عالماً فيه التوازن الأمثل بين الذين يخلصون والذين يهلكون، والذين يهلكون سوف يرفضون تحت أى ظرف. وهكذا نستطيع أن نرى أن الله كلى القدرة وكلى العلم وكلى الصلاح،لا يتغير،يعلن عن نفسه باستمرار ويريد أن الجميع يخلصون، ومع ذلك هناك الكثيرون الذين لا يقبلون المسيح بحرية إرادتهم وبذلك سيهلكون.

والآن نحن مستعدين لتقديم بعض الإجابات الممكنة على الأسئلة الثلاثة الصعبة التى تخللت الحوار وهى:

١ - لماذا لم يخلق الله عالماً، كل إنسان فيه يقبل يسوع بحريته ويخلص؟

الإجابة: إن هذا لا يدخل فى سلطان قوة الله أن يخلق عالماً كهذا. فطالما خلق الله الإنسان حراً فيمكن للإنسان أن يقبل أو يرفض، وإذا دفع الله الإنسان

ليختار اختياراً معيناً فتصبح هذه حرية مزيفة. لذلك لو كان هذا ممكناً لكان الله قد خلقه، ولكن الله قبِل حقيقة أن هناك أشخاصاً سيرفضون بحريتهم ويهلكون.

٢- لماذا خلق الله العالم طالما هو يعرف أن هناك الكثيرين الذين سيرفضون المسيح ويهلكون؟

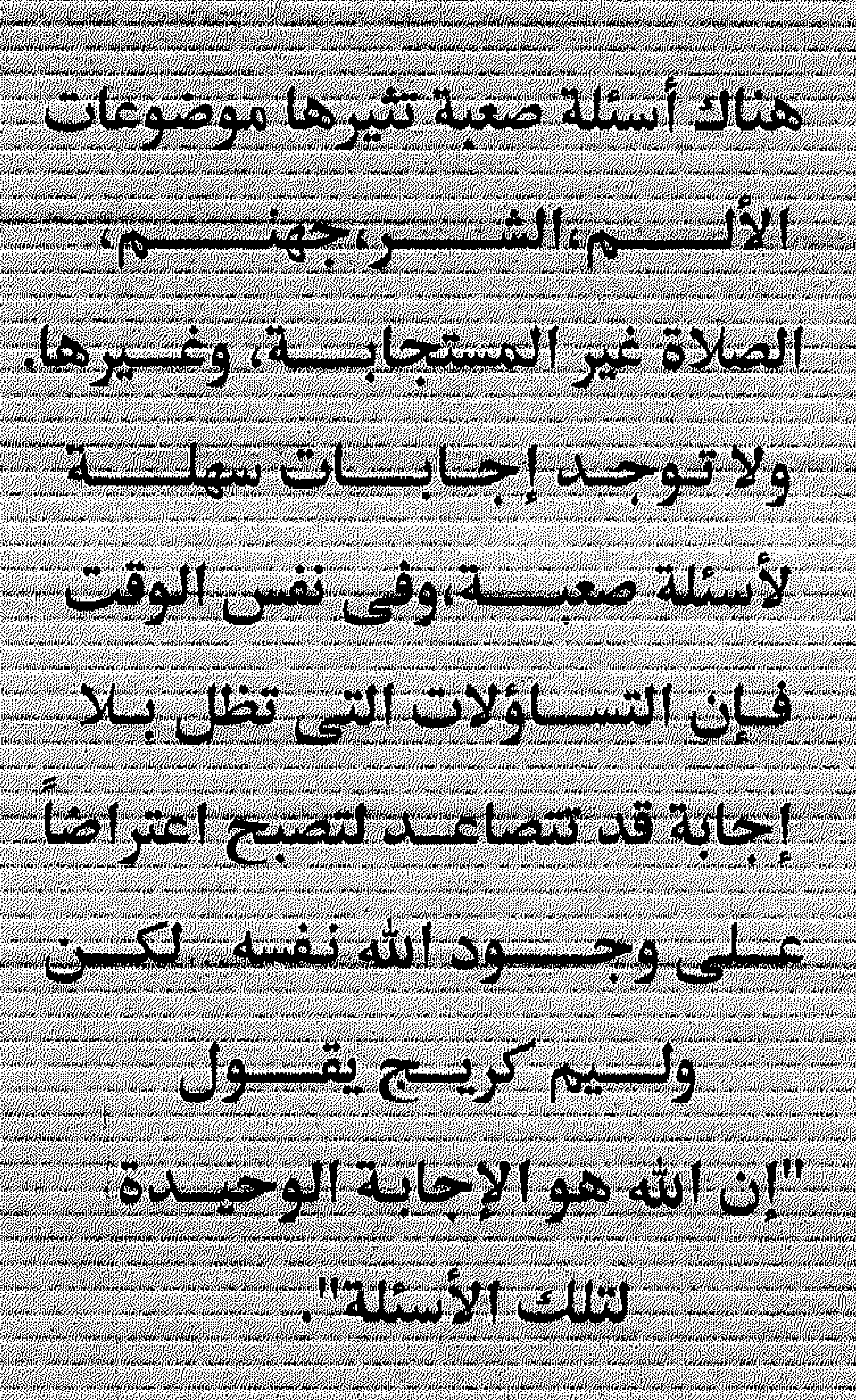
الإجابة:إن الله يريد أن يشارك خليقته فى محبته وتصبح هناك صداقة معهم وهو يعلم أن هذا يعنى أن هناك الكثيرين سيرفضون ويهلكون. ولكن سعادة أولئك الذين سيقبلوه لا يجب أن تتعطل وتتوقف بسبب أولئك الذين سيرفضوه بحريتهم. والله فى حكمته العالية نظم العالم ليصل إلى التوازن الأمثل بين الذين يخلصون والذين سيهلكون، بحيث يصل إلى أكبر عدد من الذين يخلصون، وأقل عدد من الذين سيرفضون.

٣- لماذا لا يعطى الله مزيداً من النور لأولئك الذين يرفضون النور الذى أعطى لهم؟

الإجابة:الله فى عنايته نظم العالم بدقة عالية وأعلن عن نفسه بوضوح شديد لمن تجاوبوا مع الإنجيل تحت نفس الظروف، أما من لا يتجاوبون مع إعلان الله عن نفسه فى الطبيعة، وفى شهادة الضمير،لا يمكن أن يتجاوبوا مع الإنجيل عندما يسمعوه. لقد قال أبونا إبراهيم للغنى الذى طلب منه أن يرسل لعازر إلى إخوته حتى يتوبوا ويؤمنوا"عندهم موسى والأنبياء" ثم استطرد وقال له"إذا لم يصدقوا موسى والأنبياء(وكان يقصد كلمة الله) ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون". وهنا يمكن أن نقول إنه لا يمكن أن يهلك شخص بسبب نقص

المعلومات، أو بسبب ظروف تاريخية أو جغرافية،فمن يريد أن يخلص سيخلص، فلقد أعلن الله عن نفسه فى الطبيعة وفى الضمير والذين بلا ناموس هم ناموس لأنفسهم.

وفى الختام أريد أن أؤكد على أن وجود الكثيرين بدون مسيح لا يؤثر على إيماننا بأن إنجيل الخلاص هو من خلال المسيح فقط. فالمسيح هو الطريق الوحيد إلى الآب، وهو الباب الوحيد للخلاص وكل من يدخله يخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى. وهذا يساعدنا على وضع التصور المطلوب للإرساليات المسيحية. فمسئوليتنا أن نعلن رسالة الإنجيل لكل العالم واثقين أن الله فى عنايته رتب أنه من خلالنا ستصل الرسالة إلى الأشخاص الذين يعرف الله أنهم سيقبلونه عندما يسمعونها ،فنحن أيدى الله، وأقدام الله، ولسان الله فى هذا المجتمع، وقد كلفنا بمسئولية إعلان الإنجيل للعالم أجمع. أما عطفنا على غير المؤمنين لا يجب أن نعبر عنه بأنهم ضمن شعب الله، أو أنهم سوف لا يهلكون،لأنهم سيموتون بلا مسيح، ولكن علينا أن نحبهم ونسندهم ونشجعهم ونقدم أنفسنا لهم لنشاركهم الحياة الجديدة التى تعطى لنا من خلال المسيح ونصلى من أجلهم ليقودهم الرب من خلالنا لشخصه ولخلاصه الأبدى.



هناك أسئلة صعبة تثيرها موضوعات

الألـــم،الشـــر،جهنـــم،

الصلاة غير المستجابـــة، وغـــيرها.

ولا تـوجـد إجـابـــات سهلـــة

لأسئلة صعبـــة،وفى نفس الوقت

فـإن التســاؤلات التى تظل بـلا

إجابة قد تتصاعـد لتصبح اعتراضاً

عـلى وجــود الله نفسه. لكـن

ولـــيم كريــج يقـــول

"إن الله هو الإجابة الوحيــدة

لتلك الأسئلة".



